



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شَارُوتُ الْوَاحِدِ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنْ جَدِيدٍ



البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

أغسطس - سبتمبر ٢٠١٦ م ————— August, September 2016

العدد الرابع - المجلد الثاني والستون - ذو الحجة ١٤٣٧ هـ

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في المقيدة والمتصوّص، وقامت من أول يومها على الإيمان بان العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهج الدراسة خاضع لقاموس التغيير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزداد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوى (رحمه الله)

الراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب. ٩٣٠ لكاناق (المهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٣١-٢٧٤١٢٢١ - ٥٢٠

أنشأها

فقيه الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني رحمة الله تعالى
في عام ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م

رئاسة التحرير

سعید الأعظمی الندوی
واضیح رشید الندوی

مساعداً التحرير:

محمد فرمان الندوی
محمد عبد الله الندوی

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg,

Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348 Email: albaas1955@gmail.com

محتويات العدد

العدد الرابع - المجلد الثاني والستون - ذو الحجة ١٤٣٧ هـ

الفقرات:

لماذا أصبح الإنسان رخيصاً ومتاع الدنيا غالياً؟

التوجيه الإسلامي:

الإمام الحسن البصري شخصيته ومؤهّلاته ساحة العالمة الشیخ السید ابی الحسن علی الحسین التدوی رحمة الله

جوانب بلاغية في سورة البقرة د/ راشد عبدالله الفرحان

الدعوة الإسلامية:

تشكيل النازع العلمي بين التقطير والتطبيق عند النورسي

الدكتور إحسان قاسم الصالحي

الحج أشهر معلومات

الشيخ الطاهر بدوي

علم الأجنحة في الكتاب والسنة

د/ يوسف محمد التدوی

تكوين الياء في ضوء الآيات القرآنية

الباحث حارث الأشعري

دراسات وأبحاث:

ثقة جزيرة العرب وأدبها

العلامة الشیخ السید محمد الرابع الحسین التدوی

الأستاذ احمد أمين هو أبرز الكتاب المعاصرین الدكتور مراج الدين التدوی

السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث وأنيس منصور الأخ وصي الله والدكتور محمد يوسف خان

تطور كتب السيرة النبوية في مصر الباحث محمد رضا الحلق

تعريف بكتاب:

فتح العین : أهم إنجازات كثیراً في الفقه الإسلامي

الأستاذ محمد واضح رشيد الحسین التدوی

خطة عالمية لتقسيم المسلمين

إلى الإسلام من جديد:

إن يمسسكم قرح ، فقد مس القوم قرح مثله

إلى رحمة الله تعالى :

١. فضیلۃ الحافظ عبد الستار عزیزی في ذمة الله تعالى

فلم التحریر

٢. الحاج محمد هاشم الانصاری إلى رحمة الله تعالى

٠ ٠ ٠

٣. الدكتور عبد العليم البستوی في ذمة الله تعالى

٠ ٠ ٠

٤. الدكتورة صفية نسيم في ذمة الله تعالى

٠ ٠ ٠

٥. فضیلۃ الشیخ المفتی عبد الرؤوف القاسمی في ذمة الله تعالى

٠ ٠ ٠

لماذا أصبح الإنسان رخيضاً ومتاع الدنيا غالياً؟

(وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدَنِي مَتَّيْنِ) ليس هذا الإملاء للعابثين بالغفوة ، والكرامة التي ألبسها الله سبحانه خلقه الإنسان ، إلا لكي يختبر مدى قوتهم وتمردتهم فيما هم فيه متمادون ، والذي فيه هم متتجاوزون حدود الشرف الإنساني ، وذلك ما يتمثل اليوم أمام العالم البشري بأشكال متعددة وصور منوعة في جهات مختلفة ، فقد بلغ هؤلاء العابثون بكرامة الإنسان إلى أن حرموا جميع المواصفات الكريمة والخلائق الحسنة التي يتفرد بها الإنسان عن غيره ، واختاروا طرائق الفساد بكل نوع ، وذلك بحيدتهم عن الطريق التي اختارها الله سبحانه وتعالى للبشر وكرمهم بها ، فقد صرخ بذلك فيما قاله في محكم كتابه : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحِكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ تَتَّقُونَ) ولكن بالرغم من هذه الوصية السماوية الخالدة يتناسى الإنسان طريقه المستقيم ونهجه الأصيل ، فتتفرق به السبيل ، وتلتقيه في طريق معوج إذا سلكه الإنسان واختاره ، شق لنفسه وللآخرين طريقاً يؤدي إلى نتائج غير طبيعية ، من الإفساد في الأرض ، وسفك الدماء من غير حق .

ذينك المنصرين من الجرائم الخلقية يتوافران اليوم في كل بلد ومنطقة بشرية ، بغاية من الوضوح ، كان هناك مجموعة واسعة النطاق متسلاحة بكل سلاح ومتخصصة على إهلاك الحرث والنسل ، ومؤيدة من قادة الفساد والدمار ، تواصل حملاتها الإرهابية من غير رحمة وهوادة في ضوء المخططات التي يقود بها هؤلاء القادة ، ولا يبالون بما إذا كان نأس بيعون نفوسهم مقابل ثمن غال ، ويباشرون الحملات الانتحارية في التجمعات البشرية مهما كانت ، وقد شهد العالم ولا يزال يشاهد ذلك الدمار والخراب الواسع ، وخسائر الأرواح والأموال التي تشمل الكورة الأرضية بكاملها ، فما من مكان آمن ومجتمع عائش في أمن وسلام

ودعة إلا وتتوافر فيه عناصر مأجورة تتفذ عملية التفجير الفجائي ، التي يذهب ضحيتها عدد ضخم من الأبرياء ممن لم يخطر ببالهم أنهم سيواجهون مثل هذه الجريمة الوحمة التي يمارسها قوم يحملون صورة الإنسان ولكنهم أضل من الأنعام ، والذين يصدق عليهم قول الله تعالى : **(لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذْنَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاجِلُونَ)**.

وهل يتناسى التاريخ المعاصر لقاءات قادة الأمن العالمي والاتفاقيات التي وافقوا عليها في تعزيز الجهود المشتركة على المستوى العالمي لمكافحة الإرهاب والقضاء على الفئات المشبوهة وعرقلة نشاطها في نسج خيوط الإرهاب ، ولا سيما تنظيم (داعش) الذي يملأ العالم بهجمات إرهابية ويقوم بإعدادات واسعة لتنظيم جيش إرهابي ينفذ مخططات الإرهاب والهجمات ، ولا يزال العالم الإسلامي يذكر ما أكده رؤساء أركان دول التحالف الإسلامي خلال اجتماعاتهم على أهمية العمل الجماعي للتصدي في وجه التطرف والإرهاب ، اللذين لا دين لهما ولا وطن.

وهناك اهتمامات كبيرة بمكافحة كل ما يعوق الإنسان عن أداء واجبه نحو الحياة والكون ، والدول العالمية كلها مُكبة على سد جميع المنافذ التي ينفذ منها ما يعوق سير التقدم والرقي ، ويحول دون توافر الأمن والسلام في جميع المجتمعات الإنسانية ، ومن بين هذه الجهود المباركة ما قد اتفق عليه منذ مدة قليلة وزير الدفاع الأمريكي "اشتون كارتر" (Ashton Carter) ووزير الدفاع السعودي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود وولي العهد على تشكيل مجلس لتنسيق الجهود في محاربة الإرهاب والتطرف على المستوى العالمي ومواجهة الأوامر الدوامة التي تقوم بها بعض الجهات السياسية ضد تحقيق النجاح والتوصل إلى نتائج إيجابية مشتركة ، ولا ريب في أن هذه الاتفاقية كانت بادرة خير كبيرة تعلقت بها الآمال وتوقع الناس عودة السلام العالمي إلى جميع الجاليات الإنسانية التي تدعو إلى السلم وتعيش في جو من الأمن والسلام . رغم ما من هذه الاهتمامات والجهود المتتالية للصد عن حوادث الإرهاب ، نرى ونسمع على مدار العالم أنباء الهجمات المضادة وأحداث

التغيرات الانتهارية وغيرها مما يهز كيان العالم البشري ، ويبث روح اليأس والتشاؤم في النفوس ، ولا تكاد تنتهي الحوادث من هذا النوع ولا تزال مسلسلاتها تبدو فينة وأخرى ، ويوماً بعد يوم ، في مختلف أرجاء العالم من القارات الأوربية والإفريقية وبلدان المسلمين ، في العراق ، وسوريا ، وفلسطين ، والكويت ، ولبيها وحتى المدينة المنورة ، ولو لا أن وقوف بعض الدول والحكومات وراء هذه المسلسلات ودعمها للتخطيط لهذه الجرائم الشنيعة التي هي وصمة عار وشنار على جبين الإنسانية ، لولا ذلك لكان العالم البشري يعيش في سعادة وهناء على اختلاف القارات والديار ، ولكن هيبات لم يجد هذا الحلم الذي طريقه نحو تحقق وجوده وظل في نطاق أضفاف الأحلام ، بل الواقع أن نطاق الهجمات المباغطة توسيع إلى حد كبير ، وتوصل أوارها إلى البلدان والمناطق الآمنة المطمئنة ، فما حدث في تركيا قبل أيام في أواسط شهر يوليو لهذا العام من انقلاب فاشل ضد الحكم الموجود هناك ، والذي سبب أزمات سياسية وخسائر من الأرواح وفقدان الثقة والولاء في الجيش التركي بوجه عام ، إن ذلك لا يخلو من تأثير المخططات الإجرامية التي تدفع إلى التغيرات تارة وإلى قلب نظام الحكم تارة أخرى .

لا يقال إن أنصار وأعوان " الدولة الإسلامية المزعومة " هم المسؤولون عن جميع هذهحوادث والانقلابات والتغيرات والحملات الانتقامية ، بل الواقع أن هناك أسباباً كثيرة لإحداث القلاقل والاضطرابات وإشعال نار الخلافات والعداوات فيما بين المسلمين وغيرهم ، وإن أقل تدبر فيها وتفتيش عنها يكشف الحقائق التي تختفي وراء أهداف سياسية رخيصة وغالبة ، أو من خلال عواطف عدائية ، ودوافع انتقامية تتباينا بعض الجهات السياسية ضد الجهات الآمنة المحايدة .

وقد جاء فيما نشرته جريدة (الشرق الأوسط) في عددها الصادر يوم ٢٥ من شهر يوليو لعام ٢٠١٦ م حول ما حدث في تركيا من انقلاب فاشل : وذلك بقلم : (سعيد عبد الرزاق) وذلك إن دل فإنما يشير ويدل على أن هناك عناصر معادية تعمل لصالح التائرين على حكومة تركيا الموجودة ، يقول :

" لا تزال تداعيات المحاولة الانقلابية الفاشلة الأخيرة في تركيا تتفاعل ، حذرت مديرية الأمن العام التركية من احتمال سعي منظمة الداعية فتح الله غولن المتهم بالوقوف وراءها لنشر الفوضى في البلاد ، عبر تحريض عناصر منظمة (حزب العمال الكردستاني) الانفصالية ، واتهم وزير العدل (بكيير يوزداغ) واشنطن ، بأنها كانت على علم مسبق بإدارة غولن للمحاولة الانقلابية الأخيرة في تركيا ".

كل هذه الاعتداءات والخروج عن حدود الطبيعة الإنسانية التي أودعها الله سبحانه في أفضل خلقه الإنسان ، إنما هو نتيجة معلومة للخروج عن ذلك النطاق الذي وضعه الله سبحانه وحده بواسطة الأنبياء والرسل الذين أرسلا إلى العالم البشري لكي يعلموه طاعة السماوية والخضوع أمام أوامره والوقوف عند حدوده ويقوموا بالتربيـة المطلوبة لتنفيذ تعاليـمهم فيما يتعلق بهداية البشر إلى الصراط المستقـيم الذي يتـفق وطبيـعة الإنسان في كل زمان ومكان وعلى اختلاف الأجناس والأوطان ، وعلى تبـين الديـار والأـمسـار .

تـرى أن الخروج عن طاعة الله تعالى ، ومحاربة الطبيـعة البـشرـية ، واتـبـاع النـفـس والـهـوى ، أدىـ العالم البـشرـي الـيـوم إـلـى نـتـائـج وـخـيمـة مـن قـضاـيا مـعـقدـة وـمشـكـلات مـسـتعـصـية وـمـسـائـل عـوـيـصـة دـقـيقـة ، كـمـا قد بـعـث ذـلـك دـوـافـع مـضـادـة فيـ المـجـتمـعـات البـشـرـية وـبـعـث النـاسـ عـلـى نـقـض قـوـانـين الطـبـيـعة البـشـرـية وإـشـارـة القـلـاقـلـ والـاضـطـرـابـاتـ ، وـالـعـنـفـ وـالـإـفـسـادـ فيـ الـأـرـضـ وـسـفـكـ دـمـاءـ النـاسـ مـنـ غـيـرـ ذـنـبـ أوـ جـرـيـمةـ ، وـقـتـلـ الـأـبـرـيـاءـ لـتـحـقـيقـ الـأـغـرـاضـ الرـخـيـصـةـ مـنـ أـهـوـاءـ النـفـسـ ، طـلـبـاـ لـأـعـراضـ الـدـنـيـاـ الرـخـيـصـةـ فـحـسـبـ . يـقـولـ اللـهـ تـعـالـىـ :

(فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا أَتَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ) ، (قُلْ مَتَّعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى) .

وـالـلـهـ يـقـولـ الـحـقـ وـهـوـ يـهـدـيـ السـبـيلـ .

سعـيدـ الـأـعـظـمـيـ النـدوـيـ

١٤٣٧/١٠/٢٠ هـ

٢٠١٦/٧/٢٦ م

الإمام الحسن البصري شخصيته ومؤهلاته

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي (رحمه الله)

ولد الحسن البصري سنة ٢١ للهجرة ، وأبواه يسار ، مولى زيد بن ثابت ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاتب الوحي ، وأمه خيرة ، مولاة أم سلمة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، نشأ في بيتها ، ولقي جماعة كثيرة من الصحابة وسمع منهم .

وقد جمع الله فيه من الفضائل والمواهب ما استطاع به أن يؤتّر في قلوب الناس ، ويرفع به قيمة الدين وأهل الدين في المجتمع ، فقد كان واسع العلم غزير المدة في التفسير والحديث ، ولم يكن لأحد في ذلك العصر أن ينشر دعوته ويقوم بالإصلاح ، إلا إذا كان متوفراً على هذين العلمين ، وقد أدرك عصر الصحابة وعاصر كثيراً منهم ، ويظهر من حياته ومواعظه أنه درس هذا العصر دراسة عميقه ، وأدرك روحه ، وعرف كيف تطور المجتمع الإسلامي ، ومن أين انحرف . وكان واسع الاطلاع ، دقيق الملاحظة للحياة ومختلف الطبقات وعوائدها وأخلاقها وعللها وأدواتها ، كطبيب مارس العلاج مدة .

وكان مع ذلك غاية في الفصاحة وحلاوة المنطق والتأثير في مستمعيه ، يقول أبو عمرو بن العلاء : " ما رأيت أفصح من الحسن البصري ، والحجاج بن يوسف ، والحسن أفصح منه " . وكان آية في اتساع المعلومات ووفر العلم ، قال الربيع بن أنس : اختفت إلى الحسن عشر سنين ، وما من يوم إلا أسمع منه ما لم أسمع قبله . وقال محمد بن سعد : كان الحسن جاماً عالماً رفيعاً فقيها ، ثقة مأموناً ، عابداً ناسكاً ، كثير العلم ، فصيحاً ، جميلاً وسيماً ، وقدم مكة فأجلس على سرير ، واجتمع الناس إليه ، وقالوا : لم نر مثل هذا قط ! وقد

وصفه ثابت بن قرۃ - كما نقل عنه أبو حیان التوھیدي - فقال : " كان من دراري النجوم علمًا وقوى ، وزهدًا وورعاً ، وعفةً ورقةً ، وفقهاً ومعرفة ، يجمع مجلسه ضربوا من الناس ، هذا يأخذ عنه الحديث ، وهذا يلقي منه التأویل ، وهذا يسمع منه الحلال والحرام ، وهذا يحكى له الفتيا ، وهذا يتعلم الحكم والقضاء ، وهذا يسمع الوعظ ، وهو في جميع ذلك كالبحر التجاج تدفقاً ، وكالسراج الوهاج تألقاً ، ولا تنس موافقه ومشاهده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، عند النساء وأشباه النساء ، بالكلام الفصل واللفظ الجزل " .

وكان فوق ذلك كله ، وهو سر تأثيره في القلوب ، وسحره في النفوس ، وخضوع الناس له - وقد قسوا على كثير من الوعاظ والعلماء - أنه كان صاحب عاطفة قوية ، وروح ملتهبة ، وكان من كبار المخلصين ، وكان يجمع بين بلاغة اللسان ، وقوة الإيمان وكان يؤمن بما يقوله ويعمل بما يعتقد ، وكان الذي يقول يخرج من القلب فيدخل في القلب ، وكان إذا ذكر الصحابة ، أو وصف الآخرة ، أدمغ العيون وحرك القلوب ، لأنه يتنوّق الإيمان ، ويتكلم عن عاطفة ووجودان ، لذلك كانت حلقته في البصرة أوسع الحلقات ، وانجذاب الناس إليه انجذاب الحديد إلى المغناطيس - وذلك شأن أهل القلوب والإخلاص في كل زمان - وكان من أعظم ما امتاز به هو أن كلامه كان من أشبه ما سمع الناس بكلام النبوة ، وقال الفزالي في " إحياء العلوم " : " وقد كان الحسن البصري رحمة الله أشيه الناس كلاماً بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأقربهم هدياً من الصحابة رضي الله عنهم ، اتفقت الكلمة في حقه على ذلك " .^١

كانت نتيجة المواهب العظيمة والفضائل الكثيرة ، أنه كان صاحب شخصية قوية جدّابة حبيبة إلى النفوس ، وكان الناس مأذوذين بسحرها ، خاضعين لعظمتها ، حتى قال ثابت بن قرۃ الحكيم الحرّاني : " إن الحسن من أفراد الأمة المحمدية التي تباھي بهم على الأمم الأخرى " .

^١ " إحياء العلوم " ج ١ ص ٦٨ .

مواقعـ الحسن البصري :

ومواقعـ الحسن البصري تجمع بين القوة والسهولة التي عُرف بها كلام عهد الصحابة ، وهي تدور غالباً حول قصر الحياة وغدر الدنيا ، وخلود الآخرة ، والبحث على الإيمان والعمل الصالح والتقوى ، والخشية والتحذير من غرور النفس وطول الآمال . ولا شك أن المجتمع الذي افترسته المادية ، واستحوذت عليه الشهوات ، وأصيب بالإغرار في الترف ، والإيمان في الأماني ، كان في حاجة ملحة إلى مثل هذه المواقعـ التي تكشف الغطاء عن العيون ، وتمس القلوب ، وكان يصور في أكثر مواقعـه عصر الصحابة ، وما اتسم به من أخلاق وصفات ، ويقارن بين عصرهم وعصره ، ويصف التدهور الذي أصيب به المجتمع الإسلامي في الإيمان والأخلاق . وكان إذا وصل إلى هذه النقطة أثار الأحزان ، وأهاج الوجدان . ومواقعـه مثل جميل لنشر البلية ، والأدب الرفيع ، وموضوع دراسة الأديب والناقد ، وأقدم هنا مثالين من هذه المواقعـ ، فمنها موعـة يذكر فيها عهد الصحابة ، ويصف المؤمن :

" هيـات هيـات ! أهـلـكـ الناسـ الأمـانـيـ ، قولـ بلاـ عـملـ ، وـمعـرـفةـ بـغـيرـ صـبـرـ ، وـإـيمـانـ بـلاـ يـقـينـ ، مـالـيـ أـرـىـ رـجـالـاـ وـلاـ أـرـىـ عـقـولاـ ! وـأـسـمـعـ حـسـيـساـ وـلاـ أـرـىـ أـنـيـساـ ! دـخـلـ الـقـوـمـ وـالـلـهـ ثـمـ خـرـجـواـ ، وـعـرـفـواـ ثـمـ أـنـكـرـواـ ، وـحـرـمـواـ ثـمـ اـسـتـحـلـواـ ، إـنـمـاـ دـيـنـ أـحـدـكـمـ لـعـقـةـ عـلـىـ لـسـانـهـ ، إـذـ سـئـلـ أـمـؤـمـنـ أـنـتـ بـيـوـمـ الـحـسـابـ ؟ قـالـ : نـعـمـ . كـذـبـ وـمـالـكـ يـوـمـ الدـيـنـ ، إـنـ مـنـ أـخـلـاقـ الـمـؤـمـنـ قـوـةـ يـقـيـنـ ، وـإـيمـانـ يـقـيـنـ ، وـعـلـمـ يـقـيـنـ ، وـحـلـمـ يـقـيـنـ ، وـكـيـسـاـ يـقـيـنـ ، وـرـفـقـ يـقـيـنـ ، وـتـحـمـلـاـ يـقـيـنـ ، وـقـصـداـ يـقـيـنـ ، وـشـفـقـةـ يـقـيـنـ ، وـرـحـمـةـ لـجـهـودـ ، وـعـطـاءـ يـقـيـنـ ، وـانـصـافـاـ يـقـيـنـ ، لـاـ يـحـيـفـ عـلـىـ مـنـ يـبـغـضـ ، وـلـاـ يـأـثـمـ يـقـيـنـ ، مـسـاعـدـةـ مـنـ يـحـبـ ، لـاـ يـهـمـزـ وـلـاـ يـغـمـزـ وـلـاـ يـلـمـزـ ، وـلـاـ يـلـفـوـ ، وـلـاـ يـلـهـوـ وـلـاـ يـلـعـبـ ، وـلـاـ يـمـشـيـ بـالـنـمـيـمـةـ ، وـلـاـ يـتـبـعـ مـاـ لـيـسـ لـهـ ، وـلـاـ يـجـحـدـ الـحـقـ الـذـيـ عـلـيـهـ ، وـلـاـ يـتـجـاـوزـ يـقـيـنـ ، وـلـاـ يـشـمـتـ بـالـفـجـيـعـةـ إـنـ حـلـتـ بـغـيرـهـ ، وـلـاـ يـسـرـ بـالـعـصـيـةـ إـذـ نـزـلـتـ بـسـوـاهـ ."

المؤمن في الصلاة خاشع ، وإلى الركوع مسارع ، قوله شفاء ، وصبره تقى ، وسكتـه فـكـرـةـ ، وـنـظـرـهـ عـبـرـةـ ، يـخـالـطـ الـعـلـمـاءـ لـيـعـلـمـ ، وـيـسـكـتـ بـيـنـهـ لـيـسـلـمـ ، وـيـتـكـلـمـ لـيـفـنـمـ ، إـنـ أـحـسـنـ اـسـتـبـشـرـ ، وـإـنـ أـسـاءـ

استغفر ، وإن عتب استعتب ، وإن سُفه عليه حُلم ، وإن ظُلم صبر ، وإن حير عليه عدل ، ولا يتعود بغير الله ، ولا يستعين إلا بالله ، وقور في الملا ، شكور في الخلاء ، قانع بالرزق ، حامد في الرخاء ، صابر على البلاء ، إن جلس مع الفاقلين كتب من الذاكرين ، وإن جلس مع الذاكرين كتب من المستقررين .

هكذا كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، الأول بالأول ، حتى لحقوا بالله عز وجل ، وهكذا كان المسلمون من سلفكم الصالح ، وإنما غيركم لما غيرتم ، ثم تلا : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُولُمْ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالْ) (الرعد : ١١) .

وموعظة أخرى يفسر فيها آيات من سورة الفرقان ، (الآيات : ٦٣ - ٦٥) ، ويصف المؤمنين الأولين :

"إن المؤمنين لما جاءتهم هذه الدعوة من الله صدقوا بها ، وأفضى يقينها إلى قلوبهم ، خشعت لله قلوبهم وأبدانهم وأبصارهم ، كنت والله إذا رأيتمهم رأيت قوماً كأنهم رأي عين ، والله ما كانوا بأهل جدل ولا باطل ، ولكنهم جاءهم أمر من عند الله فصدقوا به ، فنعتهم الله في القرآن أحسن نعت ، فقال (وَعَبَادُ الرَّحْمَةِ إِنَّ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الْأَرْضِ هُوَنٌ) والهون في كلام العرب : (اللَّذِينَ وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ) (وَإِذَا خَاطَبُهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) حُلْماء لا يجهلون ، وإن جهل عليهم حلموا ، يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون ، ثم ذكر ليهم خير ليل فقال : (وَالَّذِينَ يَبِيَّثُونَ لَرِيَّهُمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) ينتصبون لله على أقدامهم ، ويفترشون وجوههم سجدة لربهم ، تجري دموعهم على خدوthem فرقاً من ربهم ، لأمر ما سهروا لي لهم ، والأمر ما خشعوا نهارهم ، قال : (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبِّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمِ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) وكل شيء يصيب ابن آدم ثم يزول عنه فليس بغرام ، إنما الغرام اللازم له ما دامت السماوات والأرض ، صدق القوم والله الذي لا إله إلا هو ، فاعلموا وأنتم

^١ "الحسن البصري" لابن الجوزي : ص ٦٩ ، ٦٠ .

تتمنون ، فإياكم وهذه الأمانة رحمةكم الله ، فإن الله لم يعط عبداً بأمنيته خيراً في الدنيا والآخرة ".^١

صدقه بالحق وشجاعته أمام رجال الحكم :

وكان الحسن البصري صادقاً بالحق ، شجاعاً لا يخفى في صدقه بالحق غائلاً ، وهذه الشجاعة لها قيمتها ومكانتها في الحكومات الشخصية التي لم تزل حرة في تصرفاتها وأهوائها ، عنيفة قاسية في حكمها ، سريعة متهورة في تنفيذ إرادتها وانفعالاتها ، وقد روى التاريخ من أخبار شجاعة الحسن الدينية ما يرفع مكانته في علماء عصره ، ودعاة الإصلاح ، منها ما رواه ابن خلkan ، قال : " لما ولـي عمر بن هبيرة الفزاري العراق ، وأضيـفتـ إـلـيـهـ خـراسـانـ ،ـ وـذـلـكـ فـيـ أـيـامـ يـزـيدـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ ،ـ اـسـتـدـعـىـ الـحـسـنـ الـبـصـرـيـ ،ـ وـمـحـمـدـ بـنـ سـيـرـينـ ،ـ وـالـشـعـبـيـ ،ـ وـذـلـكـ فـيـ سـنـةـ ثـلـاثـ وـمـأـةـ فـقـالـ لـهـمـ :ـ إـنـ يـزـيدـ خـلـفـةـ الـلـهـ اـسـتـخـلـفـهـ عـلـىـ عـبـادـهـ ،ـ وـأـخـذـ عـلـيـهـمـ الـمـيـثـاقـ بـطـاعـتـهـ ،ـ وـأـخـذـ عـهـدـنـاـ بـالـسـمـعـ وـالـطـاعـةـ ،ـ وـقـدـ وـلـانـيـ مـاـ تـرـوـنـ ،ـ فـيـ كـتـبـ إـلـيـهـ فـأـقـلـدـهـ مـاـ تـقـلـدـهـ مـنـ ذـلـكـ الـأـمـرـ ،ـ فـمـاـ تـرـوـنـ ؟ـ فـقـالـ اـبـنـ سـيـرـينـ وـالـشـعـبـيـ قـوـلـاـ فـيـهـ تـقـيـةـ ،ـ فـقـالـ اـبـنـ هـبـيرـةـ :ـ مـاـ تـقـولـ يـاـ حـسـنـ ؟ـ فـقـالـ :ـ يـاـبـنـ هـبـيرـةـ :ـ خـفـ الـلـهـ فـيـ يـزـيدـ ،ـ وـلـاـ تـخـفـ يـزـيدـ فـيـ الـلـهـ .ـ إـنـ الـلـهـ يـمـنـعـكـ مـنـ يـزـيدـ ،ـ وـإـنـ يـزـيدـ لـاـ يـمـنـعـكـ مـنـ الـلـهـ ،ـ وـأـوـشـكـ أـنـ يـبـعـثـ إـلـيـكـ مـلـكـاـ فـيـ زـيـلـكـ عـنـ سـرـيرـكـ ،ـ وـيـخـرـجـكـ مـنـ سـعـةـ قـصـرـكـ إـلـىـ ضـيقـ قـبـرـكـ ،ـ ثـمـ لـاـ يـنـجـيـكـ إـلـاـ عـمـلـكـ .ـ يـاـبـنـ هـبـيرـةـ ،ـ إـنـ تـعـصـ الـلـهـ ،ـ فـإـنـماـ جـعـلـ الـلـهـ هـذـاـ سـلـطـانـ نـاصـرـاـ لـدـيـنـ الـلـهـ وـعـبـادـهـ ،ـ فـلـاـ تـرـكـبـنـ دـيـنـ الـلـهـ وـعـبـادـهـ لـسـلـطـانـ الـلـهـ ،ـ فـإـنـهـ لـاـ طـاعـةـ لـمـلـخـلـوقـ فـيـ مـعـصـيـةـ الـخـالـقـ "ـ فـأـجـازـهـمـ اـبـنـ هـبـيرـةـ ،ـ وـأـضـعـفـ جـائـزـةـ الـحـسـنـ ،ـ فـقـالـ الشـعـبـيـ لـابـنـ سـيـرـينـ :ـ سـفـسـفـنـاـ لـهـ فـسـفـسـفـ لـنـاـ .ـ

وروى ابن سعد في "طبقاته" بإسناده عن مسلم بن أبي الدليل ، قال : "سأل رجل الحسن وهو يسمع وأناس من أهل الشام ، قال : لا تكون مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، فقال رجل من أهل الشام : ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد ، فغضب ثم قال بيده فخطر بها ، ثم قال : ولا مع

^١ "قيام الليل" ص ١٢ .

أمير المؤمنين يا أبا سعيد ، نعم ، ولا مع أمير المؤمنين " .
النفاق والمنافقون في الدولة الإسلامية :

لقد نشأت في المملكة الإسلامية بحكم نفوذ الإسلام السياسي والمادي ، طبقة تدين بالإسلام ، وتتسمى بالمسلمين ، ولكنها لم تنسج الإسلام إساغة يطلبها الإسلام ، ولم تُمْثِلْه في أخلاقها وسلوكيها وميولها إنما لم تتحقق بحقيقة الإيمان ، ولم تدخل في السلم كافة ، كما يأمر به القرآن ، وقد وُجد في الجيل الإسلامي الجديد الذي لم يتم تربيته على أساس الإسلام ، رجال لم ترق رؤوسهم ولا نفوسهم من النزعات الجاهلية ، ولم تكن صلتهم بالإسلام صلة عميقة متعلقة في الأحشاء ، مسيطرة على الحياة والتفكير ، وقد وُجد في المجتمع ، وبصفة خاصة في دوائر الحكومة ، وفي أوساط الأمراء والأغنياء ، أفراد - ليس عددهم قليلاً - يمثلون بأخلاقهم وأساليب حياتهم ومناهج تفكيرهم المتألقين القدماء ، وهوئاءهم الذين كانت لهم السيطرة على الحياة والنفوذ في المجتمع ، يشغلون في الحكومة مناصب خطيرة ، ويحتلون في الجيش مراكز كبيرة ، وكانت عاداتهم وأخلاقهم وأزياؤهم هي التي يقلدها المترفون والمتألقون من الشباب والأغنياء .

اعتقد بعض العلماء أن النفاق قد انقرض ، وأنه كان مرضًا محلياً مؤقتاً اقتضته الظروف الخاصة في العصر الإسلامي الأول ، فلما غلب الإسلام وزالت شوكة الكفر وانتهى الصراع بين فكرتين متناقضتين وبين قوتين متحاربتين ، وبقي الإسلام لا يصارعه الكفر ، فقدت الطبقة التي كانت تعالج صراعاً نفسياً ، وتتأرجح بين الإسلام والكفر ، فلا تخلص لأحد منها ، وتنعم بمنافعهما في وقت واحد ، أما وقد بقي إسلام ولا كفر - كما هو الشأن في الدولة الإسلامية - أو كفر ولا إسلام - كما هو الشأن في دار الحرب - فلا حاجة إلى هذا الأسلوب من التفكير وهذا الطراز من التفاسية ، ولا محل للنفاق في دار الإسلام التي يحكم فيها الإسلام ، ويسود فيها الدين ، وقد راجت هذه الفكرة في الأوساط العلمية في الزمن المقدم ، وترى لها ظلالاً في كتب التفسير والتاريخ .

" طبقات ابن سعد " ج ٧ ، ص ٢١٩ .

ولكن يجب أن يلاحظ ، أن النفاق علة قديمة من علل الفطرة البشرية ، يصاب بها ضعاف النفوس في كل عصر من العصور ، ولا يتولد هذا المرض في مجتمع يتتصارع فيه الإسلام والكفر ويتكافأ فحسب ، بل يتولد كذلك حيث يسيطر الإسلام ويحكم . فتوجد طبقة لا تسurg الإسلام بسبب من الأسباب ، ولكنها لا تملك الشجاعة التي تحملها على إنكار الإسلام والإعلان بعقيدته وموقفه ، أو لا تسمح مصالحه وأغراضه وملابساته بأن تتنازل عن الفوائد والمناصب التي تتمتع بها بفضل الانتماء إلى الإسلام . وعن المركز الذي تحتله في الأمة لأجل ثقتها بها واعتمادها عليها . فهي تستغل الإسلام لمصالحها وتظهر في مظاهر لتحافظ على شخصيتها وتؤمن مستقبلاً ، ولكنها لا تخضع للإسلام خضوعاً حقيقياً ولا تسurg فكرته وعقيدته ونظامه . فتظل طول حياتها مذنبة بين الإسلام والكفر . ماضية اضطرباً عقلياً ونفسياً وعملياً . تحكي المنافقين السابقين في فساد الأخلاق ، وعبادة الشهوات والتهاك على اللذات ، وانتهاز الفرص ، وترجح المصلحة الشخصية على المصلحة الاجتماعية ، والجرأة والاستئذان على الضعفاء ، والجبين والخور أمام الأقواء .

وقد وجد في العلماء والمحققين من أثبت أن النفاق ظاهرة اجتماعية وعلة نفسية لا ينحصر في زمان خاص ومكان خاص . يُعجبني في ذلك كلمة المفكر الإسلامي الكبير شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوi ، المعروف بالشيخ ولـي الله ، فقد قال في كتابه البديع "الفوز الكبير في أصول التفسير" بعد ما ذكر أن النفاق قسمان : النفاق في العقيدة ، والنفاق في العمل والأخلاق : أما النفاق في العقيدة فإن كان ممكناً وواقعاً بعد عصر الرسالة ، ولكنه لا يمكن الجزم به لأنقطاع الوحي . أما نفاق العمل والأخلاق ، فكثير وشائع في كل عصر من العصور . يقول : "إن النفاق شائع ومشهود في هذا العصر . وإن أحببت أن ترى أنموذجاً للمنافقين ، فعليك بمجالس الأغنياء وندمائهم ، كيف آثروا هوى سادتهم على حكم الشارع ، إن الحق يجب أن يقال : إنه لا فرق بين من سمع كلام النبي صلـى الله عليه وسلم من غير واسطة ، واختار النفاق ، وبين من ولد في هذا العصر ، وعرف بطريق اليقين حكم الشارع

ثم آثر ضده عليه ورجح كلام غيره ، وكذلك جماعة من علماء الفلسفة والعلوم المقلية اليونانية - في الإسلام - يحملون شبهاً عظيمة ، وشكوكاً كثيرة في قلوبهم ، ونسوا المعاد حتى لا يخطر منهم على بال ، هم نموذج المنافقين في عصرنا .

دلالة الحسن البصري على النفاق والمنافقين ونفوذه في المجتمع :

لقد كان من ذكاء الحسن البصري وفطنته الدينية ، أنه اهتدى إلى أن النفاق لا يزال يعيش في المجتمع الإسلامي ، وأن المنافقين لهم صولة وجلة في الدولة الإسلامية ، وسيطرة على الحياة السياسية ، وأن المدن الكبيرة والعواصم الإسلامية مدينة لمؤلاء في الزهو واللهو ، قال له رجل يا أبا سعيد اليوم نفاق ؟ قال : " لو خرجنوا من أزقة البصرة لاستوحشتم فيها " ^١ ، وقال في مناسبة أخرى : " يا سبحان الله ! ما لقيت هذه الأمة من منافق قهرها واستأثر عليها " ^٢ يشير إلى الحكام والأمراء . وقال مرة : " لو خرجنوا لما انتصفتم من عدوكم " يشير إلى الجيش الإسلامي وقواده . وهكذا تناول الطبقات الممتازة في الأمة ، وبين أن فيها النفاق والمنافقين ، وأن لهم السيادة والغلبة .

وكان من أعظم أسباب تأثير الحسن البصري في المجتمع ، ونفوذه في القلوب والعقول ، أنه ضرب على الوتر الحساس ، ونزل في أعماق المجتمع ، ووصف أمراضه ، وانتقده انتقاد الحكيم الرفيق ، والناسح الشقيق ، لقد كان عصره يغص بالدعاة والوعاظ ، ولكن المجتمع لم يخضع لأحد خضوعه للحسن ، لأنه كان يمس قلبه وينزل في صميم الحياة ، ويعارض التيار . إنه كان ينبع على الإخلاص إلى الحياة والانهماك في الشهوات . وقد انتشر هذا المرض في الحياة . إنه كان يذكر بالموت ، ويستحضر الآخرة . والمترفون يتناسون ذلك ويعاللون نفوسهم بالأمانى الكاذبة والأحلام اللذيدة ، ويتضاربون بذكر ما يكدر عليهم الحياة ويعكرون صفو عيشهم ، فكان دائماً في صراع مع الجاهلية . والجاهلية لا

^١ " صفة النفاق وذم المنافقين " للمحدث أبي بكر ص ٦٨ .
^٢ أيضاً ، ص ٥٧ .

تُخضع إلا من صارعها . ولا تعرف إلا بوجود الرجل الذي يحاربها . وكان الحسن البصري هو ذلك الرجل . فعظم تأثيره وكثير التائدون والمقلعون عن المعاصي والحياة الجاهلية التي كانوا يعيشونها وانطلقت موجة الإصلاح قوية مؤثرة ، لأن الحسن لم يقتصر على مواعظ وخطب كان يلقيها ، بل كان يعني بتربية من يتصل به ويجالسه . فكان جاماً بين الدعوة والإرشاد ، وبين التربية العملية والتزكية الخلقية والروحية . فاهتدى به خلائق لا يحصيهم إلا الله ، وذاقوا حلاوة الإيمان وتحلووا بحقيقة الإسلام . وقد صدق عوام بن حوشب إذ قال : " ما أشبه الحسن إلا ببني أقام في قومه ستين سنة يدعوهم إلى الله " .

وفاة الحسن البصري :

وكان من أثر هذا الإخلاص ، والتفاني في الدعوة ، والتأثير في القلوب ، أنه أجمعت القلوب على حبه والاعتراف بفضله وشغلت به البصرة . وكانت المدينة التي تلي دمشق في العظمة والأهمية في ذلك العصر . حتى إذا مات في سنة ١١٠ هـ - وكان دفنه بعد صلاة الجمعة - تبع الناس كلهم جنازته ، واشتغلوا به ، فلم تقم صلاة العصر بالجامع ، لأنه لم يبق بالمسجد من يصلّي العصر . وقال بعضهم من شهد جنازته : " لا أعلم أن صلاة العصر ثُرِكت في الإسلام (يعني في جامع البصرة) إلا يومئذ " .

وجرى خلفاء الحسن - ومن توارثوا علمه وروحه - على الدعوة إلى الله والتذكير بالأخرة ، والدعوة إلى حقيقة الإيمان وسيرة الإسلام ، وهكذا اتصل تاريخ الإصلاح والتجديد والدعوة إلى الإسلام الحقيقي من جديد ، لا تتخلله فترة ، وانتقلت العاصمة الإسلامية بعد اثنين وعشرين سنة من وفاة الحسن البصري من دمشق إلى بغداد ، وأصبح العراق مركز الحضارة والسياسة في عالم الإسلام .



^١ دائرة المعارف للبستاني " ج ٧ ص ٤٤ .

^٢ ابن خلكان : ترجمة الحسن البصري .

جحود النبي والآخرين في سورة اليمامة

بِقَلْمِ مُعَالِي الشِّيْخِ الدَّكْتُورِ رَاشِدِ عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَحَانِ

وَزِيرِ الأوقافِ وَالشَّئُونِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي دُولَةِ الْكُوَيْتِ سَابِقًا

إِلَيْهِمْ وَحْرَصَهُمْ عَلَى الْحَيَاةِ :

٩٤ (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنُوا الْمَوْتَ إِنْ كَثُرْتُمْ صَادِقِينَ) .

فِي هَذِهِ الآيَةِ ردُّ عَلَى قَوْلِهِمْ (لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا) ^١ وَفِي سُورَةِ الْجُمُعَةِ بِفَلْطِ (لَا) لَأَنْ دُعَواهُمْ هُنَّا قَاطِعُهُ .

خَرُوجُ الْأَمْرِ عَنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ :

خَرُوجُ الْأَمْرِ فِي الآيَةِ عَنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ إِلَى الْامْتِحَانِ وَالتَّعْجِيزِ فِي قَوْلِهِ (فَتَمَنُوا الْمَوْتَ) فَذَلِكَ لَيْسُ مِنْ سَمَاتِهِمْ ، وَتَمَنُوا الْمَوْتَ مِنْ شَأْنِ الْأَبْرَارِ ، لَأَنَّ مَنْ أَيْقَنَ بِالشَّهَادَةِ اشْتَاقَ إِلَيْهَا كَمَا يَقُولُ الْمُجَاهِدُ (هَبَتْ هَبُوبُ الْجَنَّةِ) وَحِيثُ أَدْعُوا كَوْنَ الْجَنَّةِ لَهُمْ بِصِفَةِ الْخَلُوصِ (خَالِصَةِ) بِالْغَيْرِ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ بِ (لَنْ) فَقَالَ :

٩٥ (وَلَنْ يَتَمَنُوا أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْمٌ بِالظَّالِمِينَ) .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِنْ (لَنْ) تَقْيِيدٌ لِلنَّفِيِّ ، وَزَادَ قَوْمٌ أَنَّهَا تَقْيِيدٌ تَأْيِيدٌ أَيْضًا ، وَدُعَواهُمْ فِي سُورَةِ الْجُمُعَةِ قَاصِرَةً أَنَّهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ فَاقْتَصَرُوا عَلَى لَا ، وَفَائِدَةٌ تَخْصِيصُ الظَّالِمِينَ تَخْصِيصَهُمْ بِحَصْوَلِ الْوَعِيدِ .

٩٦ (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسَ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ النَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يَعْمَرُ أَلْفَ سَنَةً وَمَا هُوَ بِمَرْحُزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) .

(عَلَى حَيَاةِ) الْلَّامِ لَامِ قَسْمٍ ، وَتَنْكِيرُ حَيَاةِ يَعْلَمُ حَرْصَهُمْ عَلَيْها ، وَهُنَّ الْمُشْرِكُونَ خَصُوا بِالذِّكْرِ لِشَدَّةِ حَرْصِهِمْ عَلَى الْحَيَاةِ ، كَذَلِكَ مَعَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا .

^١ الْبَقْرَةُ : الآيَةُ ١١١ .

(وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) حذفت من في أحرون الناس ، لما كان اليهود من جنس الناس لم يحتج إلى ذكر (من) وإنما خص المشركين بالذكر مع دخولهم تحت الناس لشدة حرصهم على الحياة .
موقفهم من الملائكة :

٩٧ (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًا لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَشُرُّى لِلْمُؤْمِنِينَ) .

قراءة الكسر هي قراءة نافع وابن عامر ، وأبي عمرو وحفص ، وبالفتح ابن كثير ، وسبب نزولها قول اليهود : جبريل عدونا ، (على قلبك) أي حفظه إليك وفهمك ، وخص القلب لأنه محل العقل والعلم ، ومكان الصداررة من الجسم ، (فإنـه) أي جبريل ، (نزلـه) أي القرآن ، (على قلبك) زيادة تقرير للتنزيـل وبيان محل الوحي .

٩٨ (مَنْ كَانَ عَدُوًا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوُّ لِلْكَافِرِينَ) .

أفاد بهذه الآية تلازم العداوات ، فعداوة واحد من هؤلاء يستلزم عداوة الجميع ، لأنهم رسول الله ، وأفراد الملائكة جبريل وميكـال لفضلهـما ، فـكأنـهما من جنس آخر ، وقرئ مـيكـال ومـيكـائيل ومـيكـائيل بهمزة بلا ياء .

٩٩ (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكُفُّرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ) .

ختام الآية :

لا شك أن بعض أنواع المعاصي تجر الفساق إلى الإصرار عليها والتمادي فيها ثم إنكار الآيات البينات بعد الصد عنها إلى أن يركـسـ فيـ الكـفـرـ ، ولـهـذا جاءـ فيـ بعضـ المـذاـهـبـ أنـ مـرـتكـبـ الـكـبـيرـةـ فيـ النـارـ مـخـلـداـ فيـهاـ .

١٠٠ (أَوْ كَلِمَّا عَاهَدُوا عَهْدًا بَيْنَهُمْ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِكُلِّ أَكْثَرِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ) .

(أوـ) المـزـةـ لـلـإـنـكـارـ .

١٠١ (وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَيْدَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَأَ ظُهُورَهُمْ كَانُوهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .

قصة الملائكة هاروت وماروت :

١٠٢ (وَاتَّبَعُوا مَا تَنَاهَى الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكُنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَأْبَلِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكُفِّرْ فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفْرِقُونَ بَهْ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارَّينَ بَهْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَيَسْ مَا شَرَوُ بَهْ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .

(وَاتَّبَعُوا) أي اليهود ، (مَا تَنَاهَى الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ) أي ما تكذب به على النبي سليمان بأنه ساحر (وما كفر سليمان) لأن الساحر كافر ، (ولَكُنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا) لأنهم يعلمون الناس السحر و زبما كانوا شياطين الإنس والجن ، (وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَأْبَلِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ) يخلط الشياطين الشر بالخير ما يعلمون من السحر وما يأخذونه من علم الرجلين الصالحين هاروت وماروت ، بدليل أن الملائكة يقولان للناس لا تكفروا فإن بني آدم فتنة ، ودللوا عليه بكلمة (نحن) ولو أرادوا الكلام عن نفسيهما لم يقولوا (نحن) كلمة تدل على الجمع ، (فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا) من علم الشياطين وعلم الملائكة ، مخلوطا ، (مَا يُفْرِقُونَ بَهْ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ) عاد إلى الجمع بكلمة يفرقون فنسب الشر والتفرق للجمع وهم الشياطين ، ولو أراد الملائكة لقال (يفرقان) ، (وَلَيَسْ مَا شَرَوُ) أي باعوا .^١

أما ما ورد بهذه القصة من الأحاديث فقال العلماء المحققون أسانيدها ساقطة واهية ، ولا تخلو من الوضع ، وفيها نكارة وغرابة لا يصدقها عاقل ، راجع ما قاله الشيخ أبو شهبة في كتابه (الإسرائييليات والموضوعات في كتب التفسير) وما قاله ابن الجوزي في (الالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) وما قاله الشهاب العراقي الآلوسي في روح المعاني ، وما قاله القاضي عياض في كتابه الشفاء ، وغيرهم كثير.

^١ لقد شرخنا هذا الموضوع بالتفصيل في كتابنا تفسير مشكل القرآن .

لما بين ما عليهم من الوعيد أتبعه بالوعد ، جامعاً بين الترهيب والترغيب فقال :
١٠٣ (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَمْ تُؤْتِهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .

(ولو أنهم) أي اليهود ، وجواب لو إنما يكون بالفعلية ، وعدل هنا إلى الإسمية لما فيها من الدلالة على ثبوت المثبتة ، واستقرارها ، التي هي الثواب ، وقيل الجواب محنوف أي لأنثروا ، وتكير مثبتة ، للإشعار بأن القليل من ثواب الله خير كثير .

ختام الآية :

(لو كانوا يعلمون) هذا تهكم والمفروض أنهم يعلمون لأن الله أودع فيها معرفته وآياته ، فكل المسائل الضرورية يعلمها الإنسان بالفطرة ، وقد أخذ بذلك جميع قوانين العالم .

أدب وتوجيه ريانى للمؤمنين :

١٠٤ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعَنَا وَقُولُوا اُنْظَرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

(راعنا) كان المسلمين يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا حتى نفهم كلامك ، وكانت لليهود كلمة بلغة آبائهم عبرانية أو سريانية يتسابون بها وهي راعنا ، فصاروا يخاطبون النبي بها ، ف جاء النهي للجميع بدليل قوله تعالى في ختام الآية (وللكافرين عذاب أليم) .

الآيات الكونية وتفسير آية ما ننسخ من آية :

١٠٥ (مَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكُينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رِبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) .

١٠٦ (مَا نَسْخَحُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا تَأْتِي بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

١٠٧ (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) .

١٠٨ (أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلِهِ وَمَنْ يَتَبَدَّلُ الْكُفَّارُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) .

(من خير) الخير عام في كل شيء فيشمل الرسالة والأيات الكونية كالمطر الذي به الخير والنفع ، وكان اليهود يرون أنهم أحق أن يوحى إليهم فيحسدون المسلمين ويكرهون أن ينزل عليهم شيء من الوحي، ومثلهم المشركون ثم أجاب عن قول من يقول لم ينزل عليهم ، (والله يختص برحمته من يشاء) والرحمة النبوة والوحي والحكمة والنصرة ، انتهى كلام الشيخ إسماعيل حقي البروسوي في كتابه تفسير روح البيان ، (ما ننسخ من آية) (أو ننسها) الآية تشير إلى ما سبقه من الكلام عن آيات الله الكونية والمعجزة الدالة على قدرة الله ، بما في ذلك الشريعة والنبوة ، فيكون المعنى ما ننسخ من نبوة أو شريعة تكلمنا عنها سابقاً ، ويكون المقصود من الآية إنما هو التعريف بالكفار من أهل الكتاب والمشركين حيث كانوا يستكثرون الخير الذي اخترع الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي قراءة ابن كثير وأبي عمرو (ننسها) بالفتح والهمزة من التسألي التأخير ، وذلك ما لا ينطبق على الآية القرآنية ، فتأخير الآيات لا يكون إلا للآيات الكونية أو الرسالة النبوية ، وقد عزز ذلك بقوله تعالى في ختام الآية (إن الله على كل شيء قادر) وهو ما لا تحتاج إليه الآية القرآنية ، وكذلك تأتي الآية التي بعدها لتعزز ما ذهبنا إليه أكثر فأكثر (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) .

أما الآية الأخيرة فواضحة كل الوضوح من الاستكار في (الهمزة) (أم) وقد سئل موسى عن آية كونية ، فغير مستساغ أن تأتي بآية وتحشرها بين آيات تتحدث عن الآيات الكونية ما قبلها وما بعدها ، لستخرج منها معنى لا يتاسب معها ، وتنسبه نسخ آية قرآنية بلا سند من الرسول صلى الله عليه وسلم .

أقول : يا ليت مدعي النسخ على طريقة الخلق يطبقون هذه الآية ويعملون بها ، الله هو الذي ينسخ ، على ما تفيده الآية حسب قولهم إلى آية قرآنية ، وليس قوله بالهوى .

موقفهم من المؤمنين :

١٠٩ (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُرَدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عَنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا ثَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْفُوا

وَاصْنَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَوِيرٌ .
 (من بعد ما تبين لهم الحق) أن اليهود صاروا يحسدون المسلمين بعد ما تبين لهم الآيات من اتساع رقعة المسلمين وعظم انتشار الدعوة وصاروا أذلاء بعد ما كانوا أقوىاء في بدء الدعوة الإسلامية ، وهذه الآية لا تبعد صلة في الآيات التي سبقتها ، وفي نفس معناها .

١١٠ (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تَقْدَمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ
 تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ).

لما أمر المؤمنين بالغسل والصلوة عن مسائط اليهود عقبه بالأمر بالصلوة والزكوة والحث على فعل الخير على العموم .

١١١ (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ
 أَمَانِيهِمْ قُلْ هَأُولَئِكُمْ بُرْهَانُكُمْ إِنْ كُنْתُمْ صَادِقِينَ).

تف ونشر مجمل :

أي وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى (تلك أماناتهم) جمع أمنية ، ولشدة تمنيهم جمعت وتوزعت في كل قلب ، فلم تترك فراغا لغيرها .

١١٢ (بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا
 خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

(بلى) إثبات لما نفوه في كلامهم فأجيبوا : يدخل الجنة غيركم ، وعبر بالوجه ، لأنه أشرف الأعضاء .

١١٣ (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ
 لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّلَوُنَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
 مِثْلُ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَخْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ).

(كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) قال عبدة الأصنام والجهلة (مثل) بدل من محل الكاف وفيه توبيخ عظيم حيث نظموا أنفسهم في سلك من لا يعلم أصلاً .



تشكيل النازع العلمي بين التختتير والتطبيق عند النورسي

الدكتور إحسان قاسم الصالحي*

نظرة إلى التاريخ القريب :

لقد تعرضت روح إعلاء كلمة الله في أواخر الدولة العثمانية إلى الضعف ، وبدأ النظام القانوني بالتفسخ رويداً رويداً ، وتخلف أهل العلم عن ركب العلم ، فضلاً عن أن البعض توهموا أن جوانب من العلم تتافق بعض نصوص من الإسلام ، علاوة على أن الدولة قد غرقت في الديون حتى وصلت حد الإفلاس . وتسرب الإسراف والبذخ من القصور إلى الطبقة الحاكمة ، وانتشرت الرشوة والتزلف والتشفع في دوائر الدولة ، وتدخل نساء السلطة في شؤون الدولة .

حاول السلطان عبد الحميد (١٨٤٢ - ١٩١٨م) الذي دام حكمه ثلاثة وأربعين سنة (١٨٧٦ - ١٩٠٩م) إرجاع الدولة إلى سابق عهدها المجيد ، فقام بإصلاحات في السلك التعليمي والمسكري وفي مراقبة الدولة كلها وفي الصعيد الخارجي . ولكن ذلك كلّه جاء بعد فوات الأوان . لأن الدوائر الأجنبية كانت قد استطاعت أن توجد في قلب الدولة من نفسها ركائز استخدمنهم في اللحظة المناسبة لهزّ شجرة الدولة من الجذور ، والإجهاز بعد ذلك على جذعها وأغصانها .. وقد ساهم في مشاريع الإعداد على الدولة نخبة المجتمع الأوروبي بكتفاه علمية وسياسية وعسكرية عالية المستوى .

هذا فضلاً عن المؤسسات والإرساليات التبشيرية بمختلف المذاهب التي عملت داخل تركيا وخارجها على بث الأفكار المناهضة للإسلام منذ سنة ١٨٤٢م .

وتشكلت لهذا الغرض "دار الحكمة الإسلامية" في ٢٥/٨/١٩١٨ وهي أعلى مؤسسة علمية أكاديمية تسعى لإيجاد الحلول المنسجمة مع روح الإسلام للمشاكل التي ظهرت في العالم الإسلامي بصورة عامة وردَّ

* مركز رسائل النور - إسطنبول

الشبهات التي تثيرها أوساط أجنبية مختلفة . وانتخب لها أفضل العلماء في تلك الفترة ، منهم: مصطفى صبري شيخ الإسلام ، زاهد الكوثري ، بديع الزمان سعيد النورسي ، محمد عاكس ، أحمد نعيم بابان ، محمد حمدي يازير ، إسماعيل حقي إزميرلي وغيرهم . ولكن اتسع الخرق على الرائق .^(١)

وبعد سقوط الدولة العثمانية ، وفي الفترة التاريخية الخامسة (أي منذ سنة ١٩٢٢م) سنت قوانين وقرارات لقلع الإسلام من جذوره وإخدام جذوة الإيمان في قلب الأمة . فألغت السلطنة العثمانية في (١٩٢٢/١١/١) وأعقبها إلغاء الخلافة في (١٩٢٤/٣/٣) فمُنْعِي تدريس الدين في المدارس كافة ، وبُدلت الأرقام والحرروف العربية في الكتابة إلى الحروف اللاتинية ، وحُرِمَ الأذان الشرعي وإقامة الصلاة باللغة العربية . ومنع القيام بأي نشاط أو فعالية في صالح الإسلام ، إذ حُظر طبع الكتب الإسلامية ، وأرغم الناس على تغيير زينهم إلى الزي الأوروبي ، فالرجال أرغموا على ليس القبعة والنساء على السفور والتكتشف ..

وشكلتمحاكم زرعت الخوف والرعب في طول البلاد وعرضها، ونصبت المشانق لعلماء أجياله ، ولكل من تحدثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة . فساد جو من الذعر والهلع في أرجاء البلاد ، حتى أصبح الناس يخفون القرآن الكريم عن أنظار موظفي الدولة . ونشطت الصحافة في نشر الابتذال في الأخلاق والاستهزاء بالدين ، فانتشرت كتب الإلحاد .

وفي هذا المنعطف التاريخي الخطير قيض الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه بديع الزمان سعيد النورسي المولود في مطلع القرن الهجري الماضي ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) وألقى على كاهله مسؤولية النهوض بتجديد حياة الإيمان الراكد في القلوب وبعبء التصدي للتيار الجارف المكتسح الذي كاد يسلخ الأمة عن تاريخها ودينه . فأخذ يؤلف رسائل إيمانية سماها

^(١) انظر السلطان عبد الحميد الثاني - حياته وأحداث عهده ، أورخان محمد علي / ط٢ دار الأنبار - بغداد - ١٩٨٦.

"رسائل النور" ، وبدأ ينشرها بين من يثق فيهم حتى غزت العقول والقلوب والأرواح بجهاد معنوي كبير وشامل . فكيف غررت هذه الرسائل هذا الفهم السليم في قلوب هذا الجيل؟ هذا ما سنتناوله في بحثنا .
الصلة بين الدين والعلم :

مما لا يختلف فيه اثنان أن القرآن الكريم والسنة الشريفة قد حثا على طلب العلم وأشادا بالعلماء ، فأوائل أكثر الآيات القرآنية وخواتيمها ، تحيل الإنسان إلى العقل فمثلاً: فاعلموا .. فاعلم .. أفلاء عقولون .. أفلاء ينظرون .. أفلاء ينظرون .. فانظروا .. أفلاء يتذمرون .. أفلاء تتذكرون .. يعقلون .. لا يعقلون .. يعلمون .. فاعتبروا يا أولي الأ بصار .. وأمثالها من الآيات التي تناطب العقل البشري . وكذا نجد أحاديث شريفة كثيرة في هذا المجال .

"ولكن البلاء النازل في عصرنا هذا هو توهمنا - نحن والأجانب - بخيال باطل ؛ وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم . كما يقول النورسي ويعقب:

"إن أعظم سبب سلب منا الراحة في الدنيا ، وحرم الأجانب من سعادة الآخرة ، وحجب شمس الإسلام وكسفها هو : سوء الفهم وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم .

فيما للعجب ! كيف يمكن العبد عدو سيده ، والخادم خصم رئيه ، وكيف يعارض ابن والده ! فالإسلام سيد العلوم ومرشداتها ورئيس العلوم الحقة ووالده".^(١)

وحيث إن الدين بالفهم القرآني في رسائل النور يشمل الحياة كلها ويستوعب المكونات جميعها ، ولا يقتصر على جزئية منها فحسب ، بل لا شيء خارجه . ذلك لأن الموجودات كلها والحوادث جميعها تتجلى عليها أنوار الأسماء الإلهية الحسنة لمن يريد أن يبصر ، فلا شيء خارج أوامره وعلمه جل وعلا ، ولا شيء يفلت من قدرته سبحانه ، لذا فليس هناك ما

^(١) النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام، ص: ٢٣، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٥.

يسمى علمًاً وديناً كأن يكون أحدهما يقابل الآخر أو يقارنه أو يتميز عنه أو ينافقه . يبسط النورسي الموضوع بقوله:

الشريعة اثنان :

إحداها : هي الشريعة المعروفة لنا ، التي تنظم أفعال الإنسان وأحواله ، ذلك العالم الأصغر ، والتي تأتي من صفة الكلام (الوحى الإلهي).

الثانية : هي الشريعة الكبرى الفطرية ، التي تنظم حركات العالم وسكناته ، ذلك الإنسان الأكبر ، والتي تأتي من صفة الإرادة الإلهية . وقد يطلق عليها خطأً اسم الطبيعة".^(١)

فالله سبحانه وتعالى قد عين بإرادته طبيعة الأشياء ، وجعلها مرآة عاكسة لتجليات الشريعة الفطرية الكبرى التي فطر عليها الكون ، والتي هي قوانين الله وسننه الجارية التي تخص تنظيم شؤون الكون ، وقد أوجد بقدراته وجه "الطبيعة" التي يقوم عليها عالم الشهادة الخارجي الوجود ، ثم خلق الأشياء وأنشأها على تلك الطبيعة ومازج بينهما بتمام الحكمة".^(٢)

ومن هنا نرى أن أوامر الله سبحانه وتعالى قد أحاطت بكل شيء .. فالعلوم الحاضرة إذن بكافة أصنافها وأنواعها إنما هي جزء من شمولية الدين ، سواء ما اختص باسم "علوم الدين" من تفسير وفقه وما شابه ، أو ما يسمى بـ "علوم الدنيا" من علوم فيزياء أو كيمياء أو علوم حياة أو غيرها . هذه العلوم كلها هي في حقيقتها آفاق لتجليات الأسماء الحسنى ، أي جزء من بنية الدين الشامل للوجود أجمع . يقول النورسي:

حقيقة العلوم تستند إلى الأسماء الحسنى :

إن كل ما ناله الإنسان - من حيث جامعية ما أودع الله فيه من استعدادات - من الكمال العلمي والتقدم الفني ، ووصوله إلى خوراق

^(١) النورسي، بدیع الزمان سعید، المکتوبات، ص: ٦٦٣ ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٢.

^(٢) النورسي، بدیع الزمان سعید، اللمعات، ص ٢٨٦، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٣.

الصناعات والاكتشافات ، تعبّر عنه الآية الكريمة بتعليم الأسماء: **(وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا)** . وهذا التعبير ينطوي على رمز رفيع ودقيق ، وهو: أن لكل كمال ، ولكل علم ، ولكل تقدم ، ولكل فن - أياً كان - حقيقة سامية عالية . وتلك الحقيقة تستند إلى اسم من الأسماء الحسنة ، وباستنادها إلى ذلك الاسم - الذي له حجب مختلف ، وتجليات متعددة ، ودوائر ظهور متباعدة - يجد ذلك العلم وذلك الكمال وذلك الصنعة ، كل منها كماله ، ويصبح حقيقة فعلاً ، وإنما فهو ظل ناقص مبتوء باهت مشوش .

فالهندسة - مثلاً - علم من العلوم ، وحقيقة منتهاها هي الوصول إلى اسم (العدل والمقدار) من الأسماء الحسنة ، وبلغ مشاهدة التجليات الحكيمية لذلك الاسم بكل عظمتها وهيبتها في مرآة علم (الهندسة) .

والطب - مثلاً - علم ومهارة ومهنة في الوقت نفسه ، فمنتهاه وحقيقة يُستند أيضاً إلى اسم من الأسماء الحسنة وهو (الشافي) . فيصل الطب إلى كماله ويصبح حقيقة فعلاً بمشاهدة التجليات الرحيمة لاسم (الشافي) في الأدوية المثبتة على سطح الأرض الذي يمثل صيدلية عظمى . والعلوم التي تبحث في حقيقة الموجودات - كالفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان . . . هذه العلوم التي هي (حكمة الأشياء) يمكن أن تكون حكمة حقيقة بمشاهدة التجليات الكبرى لاسم الله (الحكيم) جل جلاله في الأشياء ، وهي تجليات تدبير ، وتربيه ، ورعاية . وبرؤية هذه التجليات في منافع الأشياء ومصالحها تصبح تلك الحكمة حكمة حقاً ، أي باستنادها إلى ذلك الاسم (الحكيم) وإلى ذلك الظهور تصبح حكمة فعلاً ، وإنما إنما أنها تتقلب إلى خرافات وتصبح عبثاً لا طائل من ورائه أو تفتح سبيلاً إلى الضلال ، كما هو الحال في الفلسفة الطبيعية المادية " (١) ولبلوغ رؤية تلك التجليات يقول النورسي:

(١) النورسي، بدیع الزمان سعید، الكلمات، ص ۲۹۱، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ۱۹۹۲.

نوع النظر كالنية يقلب العادات إلى عبادات :

كما تصبح العادات المباحة بالنية عبادات . كذلك تكون العلوم الكونية بنوع النظر معارف إلهية .

إذا ما نظرت إلى هذه العلوم نظراً حرفيأً (أي مفتقرأً إلى معنى في غيره) ، مع دقة الملاحظة ، والتفكير العميق ، من حيث الصنعة والإتقان . أي أن تقول : "ما أبدع خلق هذا ! ما أجمل صنع الصانع الجليل ! بدلأً من قولك : "ما أجمله " .

نعم ، إذا ما نظرت إلى الكون من هذه الزاوية تجد أن نقوش المصوّر الجليل ولعنة القصد والإتقان في نظامه وحكمته تتور الشبهات وتبدّدها . وعندما تتبدل العلوم الكونية معارف إلهية . ولكن لو نظرت إلى الكائنات بالمعنى الاسمي ، ومن حيث "الطبيعة" أي أنها تولدت بذاتها ، فعندها تحول دائرة العلوم إلى ميدان جهل " .^(١) ومن هنا نرى أن :

تطور العلوم يزيد رقعة الدين توسيعاً :

نعم ، إن في رسائل النور كثيراً من الأمثلة العلمية المادية من الواقع الملموس كدليل على المسائل الإيمانية ، إذ كلما أتى العلم - أيا كان ذلك العلم - بالجديد فتح آفاقاً جديدة لإدراك تجليات من أنوار اسم من الأسماء الحسنى . فكلما تقدم العلم وأعلن للأوضاع حكماً جديدة بكشفه عن كيفية نشوء الحوادث أصبح وسيلة لفهم وأوضح للمسائل الإيمانية . ولهذا يشيد النورسي بالتقدم العلمي والكشفوفات الحديثة بقوله: "فمرحى لجهود المعرفة الفياضة وانتشارها ، وبخ يخ لفناء العلوم الغيرة ، اللتين أمدتا تحري الحقائق وشحنتا الإنسانية ، وغرستا ميل الإنصاف في البشرية . . ."^(٢)

ولاشك أن هذا الأسلوب أجدى بكثير من أسلوب سوق المسائل التي استعصم على العلم الحديث - والتي لم يتمكن من كشف نتائجها وتوضيحها بعد - كشهادة لإثبات عظمة الخالق ودلائل قدرته سبحانه ،

^(١) الكلمات - ص: ٨٦٨

^(٢) صيقل الإسلام - محاجمات - ص: ٢٢

وما عجز عنه إلى الله سبحانه ! إذ حينما تتوضّح المسألة - بعد الكشف العلمي - وتصبح من الأمور البديهية ، فإن تلك الأدلة الاعتقادية التي سيقت سوف تتضعضع ، وبدورها يضعف الإيمان .

ولهذا فـ " إن تطور العلوم ، على خلاف ما يظن غيرنا ، لا يضيق من رقعة الدين ، بل يزيدها توسيعاً ، ولا ينقص من تأثيره ، بل يزيده قوة ، ذلك أن العلوم ، لما كانت جزءاً داخلة في بنية الدين نفسها ، كانت الأطوار التي تتقلب فيها والتي يفضل لاحقها سابقها ، تفتح في الدين آفاقاً معرفية غير مسبوقة وترقى بفهمنا له درجات على قدر هذه الأطوار ، بل إنها تتعدي ذلك إلى كونها تجدد قدرتنا على التدين وتتوّع سبل تحقيقه لدينا ".^(١)

بل يذهب الأستاذ التورسي إلى أبعد من هذا فيستلهم من ذكر القرآن الكريم لمعجزات الأنبياء عليهم السلام ، أنهم خطوا بها قمة العلوم ونهاية حدودها .

الأنبياء عليهم السلام بمعجزاتهم رواد العلوم :

"**يَبْيَّنُ** القرآن الكريم أنَّ الأنبياء عليهم السلام قد بُعثوا إلى مجتمعات إنسانية ليكونوا لهم أئمَّةُ الهدى يُقتدى بهم ، في رقيهم المعنوي . ويبين في الوقت نفسه أنَّ الله قد وضع بيد كلِّ منهم معجزة مادية ، ونصبُّهم رواداً للبشرية وأساتذة لها في تقدمها المادي أيضاً . أيَّ الله يأمر بالإقتداء بهم واتباعهم اتباعاً كاملاً في الأمور المادية والمعنوية؛ إذ كما يحض القرآن الكريم الإنسان على الاستزادة من نور الخصال الحميدة التي يتحلى بها الأنبياء عليهم السلام ، وذلك عند بحثه عن كمالاتهم المعنوية ، فإنه عند بحثه عن معجزاتهم المادية أيضاً يومئ إلى إثارة شوق الإنسان ليقوم بتقليل تلك المعجزات التي في أيديهم ، ويشير إلى حضنه على بلوغ نظائرها"

نعم ، إن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء إنما يخطي الحدود النهاية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات ، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها ، وغاية ما يمكن أن تتحققه

^(١) د. طه عبد الرحمن، العرض الذي ألقاه في منتدى الحكمة للمفكرين والباحثين في الرباط في ٢٦/١٠/٢٠٢٢.

البشرية من أهداف . فهو بهذا يعيّن أبعد الأهداف النهائية لها ويحدّدها . ومن بعد ذلك يحث البشرية ويهضّها على بلوغ تلك الغاية ، ويسوقها إليها . إذ كما أنّ الماضي مستودع بذور المستقبل ومراة تعكس شؤونه ، فالمستقبل أيضاً حصيلة بذور الماضي ومراة آماله ".^(١) ويخلص النورسي إلى القول :

"أنّ البشرية في أواخر أيامها على الأرض ستتساب إلى العلوم ، وتتصبّب إلى الفنون ، وستستمد كل قواها من العلوم والفنون فيتسلم العلم زمام الحكم والقوة ".^(٢)

نعم ، لو راجعنا القرآن الكريم المعجزة الخالدة التي لا تتأثر بصروف الزمان ولا تقضي عجائبها ، نرى أن "بابه مفتوح لكل عصر وكل طبقة من طبقاته ، حتى كأن ذلك الكلام الرحمني ينزل في كل مكان في كل حين . فكلما شاب الزمان شبّ القرآن وتوضحت رموزه ".^(٣)

من التنظير إلى التطبيق :

لقد انتهت "رسائل النور" في الوقت الحاضر بفضل الله وكرمه إلى تكوين جيل مؤمن يحمل اليقين في قلبه والإقدام في روحه والعلم في عقله ، فانطلق في الآفاق نموذجاً إيمانياً فريداً في هذا العصر العصيب ، فأسس المدارس بمستويات مختلفة وأنشأ مؤسسات ثقافية ومرافق علمية ، وإذاعات مرئية وسموعة وتولى نشر الصحف اليومية والمجلات العلمية والمتخصصة في شؤون الحياة المختلفة .. وأمثالها من الشمار اليائعة الكثيرة ، التي تجاوزت ربوع البلاد وبلغت أقصاصي البلدان في أرجاء العالم ، حيث غدا ساعياً إلى نيل رضى الله سبحانه في المختبر والمعلم كما يناله في المسجد ، وأن يتبعه الله بمدارسة العلوم الحديثة والغوص فيها مثلما يتبعه بكتاب الفقه والشريعة . كل ذلك باسترشاده بحقائق القرآن التي ينهلها من رسائل النور .



^(١) الكلمات - ص: ٢٧٩

^(٢) الكلمات - ص: ٢٩٢

^(٣) الكلمات - ص: ٨٨٢

الحج أشهر معلومات

الشيخ الطاهر بدوي الجزائري

ظاهر النص القرآني في قوله تعالى في سورة البقرة : " **الحج أشهر معلومات فمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جَدَالٌ فِي الْحَجَّ**" أن للحج وقتا معلوما وأن وقته أشهر معلومات هي شوال وذو القعدة والعشر الأوائل من ذي الحجة . وعلى هذا لا يصح الإحرام بالحج إلا في هذه الأشهر المعلومات وإن كان بعض المذاهب يعتبر الإحرام به صحيحا على مدار السنة ، وبخصوص هذه الأشهر المعلومات لأداء شعائر الحج في مواعيدها المعروفة . وقد ذهب إلى هذا الرأي الأئمة مالك وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وهو مروي عن إبراهيم النخعي ، والثوري والليث بن سعد وذهب إلى الرأي الأول الإمام الشافعي وهو مروي عن ابن عباس وجابر وعطاء وطاووس ومجاهد وهو الأظهر .

فمن فرض الحج في هذه الأشهر المعلومات أي اوجب على نفسه إتمامه بالإحرام " **فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جَدَالٌ فِي الْحَجَّ**" . والرفث هنا ذكر الجماع ودواعيه إما إطلاقا وإما في حضرة النساء ، والجدال المناقشة والمشادة حتى يغضب الرجل صاحبه . والفسوق إتيان المعاishi كبرت أم صغرت . والنهي عنها ينتهي إلى ترك كل ما ينافي حالة التحرج والتجرد لله في هذه الفترة والارتفاع على دواعي الأرض ، والرياضة الروحية على التعلق بالله دون سواه .

والتأدب الواجب في بيته الحرام لمن قصد إليه متجردا حتى من مخيط الثياب ثم يدعوهم بعد ذلك إلى التزويد في رحلة الحج .. زاد الجسد والروح . فقد ورد أن جماعة من أهل اليمن كانوا يخرجون من ديارهم للحج ليس معهم زاد . يقولون نحاج بيت الله ولا يطعمنا . وهذا القول ، فوق مخالفته لطبيعة الإسلام السمححة التي تأمر باتخاذ العدة الواقعية في الوقت الذي يتوجه فيه القلب إلى الله ويعتمد عليه كل الاعتماد . يحمل كذلك رائحة عدم التحرج في جانب الحديث عن الله ورائحة الامتنان على الله

بأنهم يحجون بيته فعليه أن يطعمهم !! ومن ثم جاء التوجيه إلى الزاد بنوعيه ، مع الإيحاء بالتقوى في تعبير عام دائم الإيحاء : " وَتَرْزُّدُوا فِي زَادٍ خَيْرٍ الْزَادِ التَّقْوَىٰ " .

ثم يمضي السياق القرآني بعد هذه الآية الكريمة في بيان أحكام الحج وشعائره فيبين حكم مزاولة التجارة أو العمل بأجر بالنسبة للحج ، وحكم الإفاضة ومكانها وما يجب من الذكر والاستففار بعدها . قال تعالى : " لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فِضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضَّلُمْ مِنْ عَرِفَاتٍ فَلَا ذَكْرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعُرِ الْحَرَامَ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُثُّمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمْنَ الظَّالِمِينَ . لَمَّا أَفَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " (البقرة : ١٩٨ - ١٩٩) .

قال الإمام البخاري رحمه الله بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية . فتأثروا أن يتجروا في الموسم فنزلت " ليس عليكم جناح أن تتبعوا فضلاً من ربكم " في مواسم الحج .

وروى الإمام أبو داود رحمه الله بإسناده من طريق آخر إلى ابن عباس أيضاً قال : كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم والحج ، يقولون : أيام ذكر ، فأنزل الله تعالى : " ليس علَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فِضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ " وفي رواية عن أبي أمامة التيمي قال : " قلت لابن عمر : إنا نكري فعل لنا من حج ؟ قال : أليس تطوفون بالبيت وتأتون بالمعروف ، وترمون الجمار ، وتحلقون رؤوسكم ؟ قال قلنا : بلى . فقال ابن عمر : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن الذي سألهني فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية : " ليس علَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فِضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ " . وفي رواية عن أبي صالح مولى عمر (رواها الإمام ابن جرير) قال : قلت : يا أمير المؤمنين كنتم تتجرون في الحج ؟ قال : وهل كانت معايشهم إلا في الحج ؟ وهذا التحرج الذي تذكره الروايات الأوليان من التجارة ، والتحرج الذي تذكره الرواية الثالثة عن الكراء أو العمل بأجر في الحج ، هو طرف من ذلك التحرج الذي أنشأه الإسلام في النفوس من كل ما كان سائفاً في الجاهلية ، وانتظار رأي الإسلام فيه قبل الإقدام عليه .

وقد أقر الإسلام معظم شعائر الحج التي كان العرب يؤدونها ، ونفى كل ما يمتد إلى الأوثان وإلى أوهام الجاهلية ، وربط الشعائر التي

أقرها بالتصور الإسلامي الجديد بوصفها شعائر سيدنا إبراهيم عليه السلام التي علمه ربه إياها ، روى الإمام أحمد والطبراني في الكبير عن أبي الطفيل : قلت لابن عباس : يزعم قومك انه صلى الله عليه وسلم سعى بين الصفا والمروة وانه سنة ٩ قال ، صدقوا إن إبراهيم لما أمر بالناسك اعترض له الشيطان ، فسبقه إبراهيم ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه سبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه سبع ثم تله (أي تل إبراهيم اسماعيل) للجبين ، وعلى اسماعيل قميص أبيض : يا أبا إسحاق ليس لي ثوب تكتفني فيه غيره فاخذه حتى تكتفي فيه ، فجعله ليخلعه فنودي من خلفه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا . فالتفت إبراهيم عليه السلام فإذا هو بكبس أبيض أقرن ، أعين . قال ابن عباس : لقد رأينا نتبع ذلك الضرب من الكباش قال ثم ذهب به جبريل إلى منى قال هذا مناخ الناس ، ثم أتى به جماعة قال : هذا المشعر الحرام ، ثم ذهب به إلى عرفة هل تدرى لم سميت عرفة ؟ قلت لا . قال : إن جبريل قال لإبراهيم هل عرفت ؟ قال نعم فمن تم سميت عرفة . هل تدرى لم كانت التلبية ؟ قلت وكيف كانت ؟ قال إن إبراهيم لما أمر أن يؤذن في الناس بالحج خفضت له الجبال رؤوسها ورفعت له القرى فأذن بالناس بالحج ॥

يطوفون بالبيت معظمين له لتعظيم الله إياه قال تعالى : " ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب " .

يسعون بين الصفا والمروة فعل أمهم الصالحة يوم ابتدأ أمر التمهيد لبناء بيت الله عز وجل ، ويخرج الإنسان من هذه المرحلة وقد ولد من جديد ، ويرجع ثانية ليرمي الجمار علينا الشيطان بالعداء أولاً وأخراً قال تعالى : " إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حجَّ الْبَيْتَ أو اعْتَمَرَ فلأجْنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطُوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِ " (البقرة / ١٥٨) .

هناك عدة روايات عن سبب نزول هذه الآية أقربها إلى المنطق النفسي المستفاد من طبيعة التصور الذي أنشأه الإسلام في نفوس المجموعة السابقة إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار .. الرواية التي تقول : إن بعض المسلمين تحرجوا من الطواف بالصفا والمروة في الحج والعمرمة بسبب أنهم كانوا يسعون بين هذين الجبلين في الجاهلية ، وأنه كان فوضهما صنمان هما آسف ونائلة ، فكره المسلمون أن يطوفوا كما كانوا يطوفون في الجاهلية .

قال الإمام البخاري : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن عاصم بن سليمان قال سألت أنساً عن الصفا والمروة قال : كنا نرى أنهم من أمر الجاهلية . فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهم ، فأنزل الله عز وجل : " إن الصفا و المروة من شعائر الله " . وقال الشعبي : كان أسف على الصفا وكانت نائلة على المروة ، وكانوا يستلمونهما فتحرجوا بعد الإسلام من الطواف بينهما . فنزلت هذه الآية .

ولم يرد تحديد لتاريخ نزول هذه الآية . والأرجح أنها نزلت متأخرة عن الآيات الخاصة بتحويل القبلة ، ومع أن مكة قد أصبحت دار حرب بالنسبة للمسلمين فإنه لا يبعد أن بعض المسلمين كانوا يتمكنون أفرادا من الحج ومن العمرة وهؤلاء هم الذين تحرجوا من الطواف بين الصفا والمروة ، وكان هذا التحرج ثمرة التعليم الطويل ، ووضوح التصور الإيماني في نفوسهم ، هذا الوضوح الذي يجعلهم كما قال الإمام سيد قطب رحمه الله ، يتحرزون ويتوجسون من كل أمر كانوا يزاولونه في الجahلية . إذ أصبحت نفوسهم من الحساسية في هذه الناحية بحيث تفزع من كل ما كان في الجahلية ، وتتوjos أن يكون منهيا عنه في الإسلام .

كانت الدعوة الجديدة قد هزّت أرواحهم هزّاً وتقلّلت فيها إلى الأعمق فأحدثت فيها انقلاباً نفسياً وشعورياً كاملاً ، حتى لينظرون بجهوة وتحرز إلى ماضيهم في الجahلية ويحسون أن هذا شطر من حياتهم قد انفصلوا عنه انفصالاً كاملاً فلم يعد منهم ولم يعودوا منه ، وعاد دنساً ورجساً يتحرزون من الإسلام به .

وإن المتابع لسيرة هذه الفترة الأخيرة في حياة الصحابة الكرام ليحس بقوة أثر هذه العقيدة العجيب في تلك النفوس النبيلة ، يحس التغير الكامل في تصورهم للحياة حتى لكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمسك بهذه النفوس فهزها هزة نفضت عنها كل رواسبها ، وأعادت تأليف ذراتها على نسق جديد كما تصنع الهرزة الكهربائية في تأليف ذرات الأجسام على نسق آخر غير الذي كان .. والله در الإمام البوصيري رحمة الله حين ينشد قائلاً :

كُمْ أَبْرَاتْ وَصِبَا بِاللَّمْسِ رَاحْتَهُ ♦♦♦ وَأَطْلَقْتْ أَرْيَا مِنْ رِيقَةِ الْأَمْمِ
وَأَحْيَتْ السَّنَةَ الشَّهَاءَ دُعْوَتَهُ ♦♦♦ حَتَّى حَكَتْ غَرَةَ فِي الْأَعْصَرِ الْدَّهْمِ

بعارض جاد أو خلت البطاح بها ❖❖ سبب من اليم أو سيل من الفرم
المعنى باختصار أنه صلى الله عليه وسلم ما مسح براحته الشريفة
على مريض إلا عويف ولا على من علق به داء من الأدواء الظاهرة أم الباطنة
إلا خلصه الله تعالى منه وكم أحيت دعوته السنة المجدبة حتى شابهت
تلك السنة بياضاً في الأزمة السود لشدة خضره الزرع فيها حتى يرى أنه
أسود بسبب سحاب عارض جاد بالمطر الكثير إلا أن ظنت الواد ماء
جارياً من البحر أو سائلًا من الوادي .

وهذا هو الإسلام . هذا ما يعني : انسلاخاً كاملاً عن كلِّ ما في
الجاهلية ، وتحرجاً بالغاً من كلِّ أمر من أمور الجاهلية ، وحدراً دائمًا
من كلِّ شعور وكلِّ حركة كانت النفس تأتيها في الجاهلية ، حتى
يخلص القلب للتصور الجديد بكلِّ ما يتضمنه ، فهو الفيث الظاهر
والباطن ، والفيث النافع الدافع والفيث الهادي إلى الصراط المستقيم .
فلما أنَّ تمَّ هذا في نفوس الجماعة المسلمة أخذ الإسلام يقرر ما يريد
البقاء عليه من الشعائر الأولى مما لا يرى فيه بأساً كالاحترام الأشهر
الحرم مثلًا والنهي عن الافتثال فيها على وجه الخصوص ، ولكن يربطه
بعروة الإسلام بعد أن نزعه وقطعه عن أصله الجاهلي . فإذا أتاها المسلم فلا
يأتيه لأنَّه كان يفعله في الجاهلية ولكن لأنَّه شعبير جديدة من شعائر
الإسلام ، تستمدُّ أصلها من الإسلام ، فهو ترقية وترقية وبهاء ونور .

وقد نزلت إباحة البيع والشراء والكراء في الحج كما سبق ذكره
وسماها القرآن ابتغاء من فضل الله .. ليشعر من يزاولها أنه يتغى من
فضل الله حين يتجر وحين يعمل بأجر وحين يطلب أسباب الرزق . إنه لا
يرزق نفسه بعمله ، إنما هو يطلب من فضل الله فيعطيه الله . فأحرى ألا
ينسى هذه الحقيقة . وهي أنه ينال من هذا الفضل الإلهي حين يكسب
وحين يقبض وحين يحصل على رزقه من وراء الأسباب التي يتغذىها
للارتقاء . ومتى استقر هذا الإحسان في قلبه وهو يبتغي الرزق فهو إذن في
حالة عبادة لله جل علام ، لا تتنافي مع عبادة الحج في الاتجاه إلى الله
تعالى ، ومتى ضمن الإسلام هذه المشاعر في قلب المؤمن أطلقه ي عمل
وينشط كما يشاء وكل حركة منه عبادة في هذا المقام .

لهذا يجعل الحديث عن طلب الرزق جزءاً من آية تتحدث عن بقية
شعائر الحج ، فتذكر الإفاضة والذكر عند المشعر الحرام . قال تعالى :

"فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَقَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعُرِ الْحَرَامِ وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لِمَنِ الظَّالِمُينَ".

والوقوف بعرفة عمدة أفعال الحج. روى أصحاب السنن بإسناد صحيح عن الثوري عن بكير عن عطاء ، عن عبد الرحمن بن معاشر الديلمي رضي الله عنه قال : "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الحج عرفات - ثلاثة - فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك . وأيام مني ثلاثة . فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه ".

ووقت الوقوف بعرفة من الزوال (الظهر) يوم عرفة وهو اليوم التاسع من شهر ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر . وهناك قول ذهب إليه الإمام أحمد وهو أن وقت الوقوف من أول يوم عرفة ، استنادا إلى حديث رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذى عن الشعبي عن عروة بن مضرس بن حرثة بن لام الطائي رضي الله عنه قال : "أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة حين خرج إلى الصلاة فقلت يا رسول الله إني جئت من جبل طيء أكللت راحلتي وأتعبت نفسي ، والله ما تركت من جبل إلا ووقفت عليه . فهل لي من حج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع ، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد تم حجه وقضى تقته ".

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقوف ، هذا الوقت ، على أي القولين ، ومد وقت الوقوف بعرفة إلى فجر يوم النحر وهو العاشر من ذي الحجة ، ليخالف المشركين في وقوفهم بها . روى ابن مردويه والحاكم في المستدرك كلامهما من حديث عبد الرحمن بن المبارك العيشى بإسناده ، عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفات . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد وكان إذا خطب خطبة قال : أما بعد فإن هذا اليوم الحج الأكبر . ألا وأن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون في هذا اليوم قبل أن تغيب الشمس ، إذا كانت الشمس في رؤوس الرجال كأنها عمائم الرجال في وجوهها وإننا ندفع قبل أن تطلع الشمس ، مخالفًا هدينا هدي أهل الشرك ".

والذي ورد عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دفع بعد غروب شمس يوم عرفة ، وقد جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صحيح مسلم : فلم يزل واقفا يعني بعرفة ، حتى غربت الشمس

وبدت الصفرة قليلا ، حتى غاب القرص ، وأرددأسامة خلفه ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شنق للقصواء الزمام حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله ويقول بيده اليمنى : "أيها الناس السكينة ، السكينة" . كما أتي جبلا من الجبال أرخي لها قليلا حتى تصعد ، حتى أتي المزدلفة فصلب بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئا . ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلب الفجر حتى تبين له الصبح بأذان وإقامة ثم ركب القصواء حتى أتي المشعر الحرام . فاستقبل القبلة فدعا الله وكبده وهله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفرا جدا ، فدفع قبل أن تطلع الشمس" . والمشعر الحرام هو المزدلفة ، والقرآن هنا يأمر بذكر الله عنده بعد الإفاضة من عرفات ثم يذكر المسلمين بأن هذا الذكر من هداية الله لهم وهو مظهر الشكر على هذه الهدایة وينظرهم كذلك بما كان من أمرهم قبل أن يهدوهم إلى الصراط المستقيم " وإن كنتم من قبله من الضالين" .

والجماعة المسلمة الأولى كانت تدرك حق الإدراك مدى وعمق هذه الحقيقة في حياتها . لقد كانت قريبة عهد بما كان العرب فيه من ضلال ، ضلال التصور ، مظهره عبادة الأصنام والجن والملائكة ، ونسبة بنوة الملائكة إلى الله تعالى ، ونسبة الصهر إلى الله مع الجن ، إلى آخر هذه التصورات السخيفية المضطربة ، التي كانت تتشير بدورها اضطرابا في العبادات والشعائر والسلوك : من تحريم بعض الأنعام ظهورها أو لحومها بلا مبرر إلا تصور علاقات بينها وبين شئ الآلة ، ومن نذر بعض أولادهم للآلة وإشراك الجن فيها ، ومن عادات جاهلية شتى لا سند لها إلا هذا الركام من التصورات الاعتقادية المضطربة ، وضلال في الحياة الاجتماعية والأخلاقية ، تمثله تلك الفوارق الطبقية التي تشیر الآية الآتية في السياق " ثم أهيفضوا من حيث أفضى الناس" ، إلى إزالتها ... وتمثله الحروب والمشاحنات القبلية التي لم تكن تجعل من العرب أمة يحسب لها حساب في العالم الدولي . وتمثله تلك الفوضى الخلقية في العلاقات الجنسية ، والعلاقات الزوجية ، وعلاقات الأسرة بصفة عامة ، وتمثله تلك المظالم التي يزاولها الأقوياء ضد الضعاف في المجتمع بلا ميزان ثابت يفيء إليه الجميع ، وتمثلها حياة العرب بصفة عامة ووضعهم الإنساني المتخلص الذي لم يرفعهم منه إلا الإسلام .

علم الأجيال في الكتاب والسنّة

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

* د/ يوسف محمد الندوبي

العلقة :

العلقة هي المرحلة الثالثة للحيوان المنوي حسب التعبير القرآني نطفة، ونطفة أمشاج، وعلقة، تبدأ هذه الحالة منذ التصاق النطفة الملقة بجدار الرحم إلى عروض الكتل البدنية هي التي تعتبر بداية المضفة، قد استخدم القرآن المجيد لفظ "العلقة" في خمسة مواضع، وهي كما يلي :

- ◆ اقراً باسم رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلْقَةٍ . اقراً وَرَبِّكَ الْإِكْرَمُ . الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَنْ .
- ◆ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنَّ يُثْرَكَ سُدًّا . أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنْيٍ يُمْتَنَى . ثُمَّ كَانَ عَلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى .
- ◆ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلْقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طَفْلًا .
- ◆ لَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلْقَةَ مُضْعَفَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْعَفَةَ عَظَامًا فَكَسَوْنَا الْعَظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا أَخْرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ .
- ◆ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُلَّنَا فِي رَبِّي مِنَ الْبَعْثٍ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلْقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْعَفَةٍ مُخْلَقَةٍ .

* الأمين العام : لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، فرع كيرلا)

١ سورة العلق - ١ - ٤

٢ سورة القيمة ٣٨-٣٦

٣ سورة غافر ٦٧

٤ سورة المؤمنون ١٢ - ١٤

٥ سورة الحج ٥

تقوم البويضة الملقة (النطفة الأمشاج) بالانقسام المترالي فتصبح الخلية أربع خلايا في ٤٠ ساعة ثم تكون ٣٢ خلية في ٨٠ ساعة ولا تمر خمسة أيام وقد صارت مثل الكرة تماماً أو مثل ثمرة التوتة وتدعى عندئذ التوتة Morulla ثم يمتئ جوف هذه الكرة بسائل وتدعى عندئذ الكرة الجرثومية (جرثومة الشيء أصله) أو البلاستولا (Blastula) فاعالية هذه الكرة الجرثومية هي التعلقات المترالية .

أما تسمية القرآن بالعلقة لهذه المرحلة هي أدق وألقي تعبير نسبة إلى فاعليتها ، علماء الأجنة وصف الجنين في هذه الحالة : بأنها مرحلة الاتصاق والانفراز Attachment and Implantation يبدأ العلوق منذ اليوم السابع بعد تلقيح النطفة بالبويضة عند ما تلتقص الكرة الجرثومية بجدار الرحم وتمدّ الخلايا الخارجة الانفراز معاليق صغيرة متعددة Microvilli للتلقي بمتيلاتها الموجودة على الخلايا الطلائية Endothelial cells في غشاء الرحم Endometrium وتشابك هذه المعاليق ثم تبدأ الخلايا الانفراز Tropoblasts في الانفراز وفي قضم خلايا غشاء الرحم حتى تتمكن من الوصول إلى داخل الغشاء وتبدأ عندئذ تعلقها بواسطة الخلايا المخلوية الانفراز Syncytiotrophoblasts التي تحول إلى الخملات المشيمية vill Chorionic وهي تمثل تعلق الكرة الجرثومية بجدار الرحم .^١

إن هذه الكرة الجرثومية المعلقة تقسم إلى كتلة خلايا خارجية آكلة Trophoblasts وظيفتها العلوق بجدار الرحم وامتصاص الغذاء منه (وهي تشكل ٩٠٪ من مجموع خلايا الكرة الجرثومية) وكتلة خلايا داخلية Inner Cell Mass (تشكل ١٠٪ من مجموع الكرة الجرثومية) وهذه الكتلة الداخلية يخلق الله منها الجنين ويتعلق الجنين بواسطة معلق Connecting stalk يربطه بالغشاء المشيمي (الكوريون - crorion) يرى في هذه المرحلة أربعة تعلقات للجنين المتتطور ، ذلك في البداية بواسطة الخملات الدقيقة وفي الثانية بواسطة الخلايا الانفراز وفي الثالثة

^١ د/ محمد علي البار - خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، ص: ٣٦١ - ٣٦٢

الجنين الحقيقي وبين الفشاء المشيمى بواسطة المعلق .^١
ولا شك إن أهم ما يميز هذه المرحلة هو التعلق وأن وصف العلاقة
العلاقة بجدار الرحم والمحاطة بالدم المتجمد هو أدق وصف لهذه المرحلة
وستفرق هذه المرحلة أسبوعين تقريباً ينمو خلالها القرص الجنيني إلى لوح
كمثري الشكل ذو ثلث طبقات متمايزه ، وهي كما يلى :

أ. الطبقة الخارجية الاكتودرم Ectoderm

ب. الطبقة المتوسطة الميزودرم Mesoderm

ت. الطبقة الداخلية الانتوردم Endoerm

أ. الطبقة الخارجية (الاكتودرم)

يظهر في جهتها المؤخرية الشريط الأولى Primitive Streak الذي
تمو منه الطبقة المتوسطة وتمتد يمنة ويسرة وإلى الأمام حتى تفصل بين
الطبقتين الخارجية (الاكتودرم) والداخلية (الانتوردم) كما ينمو من
خلايا الاكتودرم خلاياه وبالذات من عقدة هنسن hensens duct (Notochord)
(العقدة الأولية) شريط يعرف بالحبل الظهري (

ب . الطبقة المتوسطة (الميزودرم)

تظهر نتيجة لنشاط خلايا الشريط الأولى Primitive Streak وتمتد
الخلايا منه لتفصل ما بين الطبقتين الخارجية (الاكتودرم) والداخلية ما
عدا منطقتين فقط هما :

أ. منطقة الصفيحة سالفة القلب Prochordal plate

ب. منطقة غشاء المذرق Cloacal Membrane

وفي هاتين المنطقة تين تلتصل خلايا الاكتودرم الخارجية بخلايا
الانتوردم الداخلية ولا يفرق بينهما شيئاً .

ت. الطبقة الداخلية (الانتوردم)

وهي الخلايا الداخلية للجنين الذي سيخلق منه الجهاز الهضمي
والجهاز التنفسى وفي نهاية هذه المرحلة تتكتشف الطبقة المتوسطة القريبة

Inderbirsing "Human embryology" Macmillian India Ltd
Madras. P:322

والمراجع نفسه ، ص: ٣٢٢

من محور الجنين لتشكل الكتل البدنية Somites ويبدا ظهور أول كتلة بدنية في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقح وعندئذ تكون العلاقة قد تحولت إلى مضفة .^١

المضفة :

هذه هي المرحلة الرابعة للجنين حسب التعبير القرآني تبدأ هذه المرحلة بظهور الكتل البدنية في الجنين يظهر أول ظهورها في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقح وتظهر بهذه الكتلة جملة شقوق تقسمها إلى قطاعات تسمى الكتل البدنية وتتوالى الكتل البدنية Somites في الظهور على كل جانب من محور الجنين حتى ليبلغ عددها عند اكتمالها ٤٢ إلى ٤٥ كتلة على كل جانب من القمية إلى المؤخرة ولا يكاد ظهورها يكتمل حتى تبدأ الكتل التي في القمة تتميز بحيث لا تكون جميع الكتل في مستوى واحد .

وتعرف الكتل الأربع الأولى العليا والتي في منطقة الرأس باسم الكتل المؤخرية Occipitals Somites تليها عنقية cervical تلتها ١٢ صدرية Thoracic تلتها ٥ قطنية Lumbar تلتها ٥ عجزية Sacral تلتها ٨ إلى ١٠ عصعصية Cocygeal ويظهر في هذه الفترة أيضا خمسة ميازيب أو شقوق في طبقة الاكتودرم من جهة الرأس و مقابل هذه الشقوق والميازيب نتوءات مماثلة حتى ليلى كل شق نتوء مكونا بذلك خمسة أقواس تعرف لدى جنين الإنسان بالأقواس البلعومية ولدى جنين السمكة بالخياشيم ومن القوس البلعومي الأول يخلق الله الفك العلوي والسفلي وبذلك يبدأ تكوين الوجه .

ويحيط هذان الفكين بفتحة الفم البدائية Stomatodeum ويسمى القوس البلعومي الثاني بالقوس اللامي arch Hyoid أما بقية الأقواس فتعرف بأرقامها أي الثالث ، الرابع ، الخامس .^٢

وبظهور الكتل البدنية تباعا ينمو الجهاز العصبي للجنين من

^١ المرجع نفسه - ص: ٣٦٢

^٢ د / محمد علي البار: خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، ص: ٢٤٦ - ٢٤٥

ميزاب (شق) عصبي Neural Groove إلى قناة عصبية تنمو في منطقة الرأس لتكون المخ ينتوء أنه الخلقة المخ القدمي Fore Cephalon (brain) والمخ المتوسط Mesencephalon (mid brain) والمخ المؤخر Hindbrain (hind brain) كما تنمو بسرعة انحناءات الرأس وتظهر فتحة الفم البدائية قريبة من صفيحة القلب ، وذلك في جنين عمره ٢٢ يوما (ذو عشر كتل بدنية) وفي اليوم السادس والعشرين (جنين ذو عشرين كتلة بدنية) تكون فتحة الفم البدائية منفصلة عن القناة الهضمية الأمامية Foregut بواسطة الفشاء الفمي البلعومي Buccopharyngeal membrane وفي اليوم الثامن والعشرين تظهر حويصلة العين كامتداد من المخ القدمي Fore brain أما في اليوم الثلاثين (جنين ذو ٢٨ كتلة بدنية) فتظهر حويصلة السمع Optic Vesicle كما يظهر في نفس الفترة تقريباً لوح قرص الشم Olfactory lobe ويظهر في الفترة ذاتها الحبل السري .. وهو الذي كان في المرحلة السابقة (مرحلة العلقة) يعرف بالتعليق Connecting Stalk و يصل الأورطيان الظهريان في جهة صحيفية القلب الأولية التي تتحول إلى أنبوبة للقلب على شكل S وسرعان ما تظهر الفرف المختلفة في القلب مكونة الأذنين (دون فاصل) والبطينين متصلتين (دون فاصل) وبوصلة القلب Cordis Bulbus وجيب القلب Venous Sinus وفي نهاية هذا الأسبوع يتصل الأورطيان الظهريان ويكونان شرياناً واحداً هو الأورطي الظهري وتكون الدورة الدموية في الجنين تامة ومتصلة بالدورة المشيمية في رحم الأم وبذلك يتمكن الجنين من أخذ غذائه من الأم .

وفي هذا الأسبوع يلتف الجنين حول محوره حتى ليصبح عنق كيس المخ ضيقاً وبذلك تتحول القناة الهضمية إلى قسمين أمامي Foregut وخلفي Hindgut وتقع القناة الهضمية الأمامية تحت القلب مباشرة ويفصل فتحة الفم Stomatoderm عن القناة الهضمية Frogut الفشاء الفمي البلعومي Buccopharyngeal Membrane ثم يلي ذلك، الفتحة التي تصل ما

بين طبقة الانتوردم وكيس المخ وهي تشكل الفتق السري ثم يليها من الجهة المؤخرية القناة الهضمية المؤخرية Hind gut والتي تنتهي عند غشاء المذرق cloacal membrane في مؤخرة الجنين الذي يكون في قمة نموه ويظهر في القناة الهضمية برعمي البنكرياس والمكبد ، وفي هذه الفترة أيضاً تظهر أيضاً حويصلة الأ بصار Optic Vesicle كامتداد من المخ المقدمي Forebrain ويظهر في نفس الوقت حويصلة السمع وفي هذه الفترة أيضاً تظهر بداية الجهاز التنفسى كميزاب من قاع البلعوم ثم تظهر القصبة الهوائية والبرعمي الرئية ، أما الجهاز البولي فيظهر في كل مقطع Metamere وكتلة Somite أنابيب أولية للكلى Pronephros وتظهر مع ظهور الكتل البدنية أي من جهة الرأس والعنق حتى تصل إلى مؤخرة الجنين Caudal Potions وتتصل هذه الأنابيب ببعضها .

وفي نهاية هذا الأسبوع تكون أنابيب الكلى المتوسطة قد ظهرت، وفي الوقت ذاته ت-develop الأنابيب الأولية Mesonephros وفي الأسبوع التالي تظهر بداية الأنابيب الأخيرة التي تشكل الكلى الحقيقة Metanephros وفي كل مقطع Metamere وعاء دموي وأنابيب كلوية وعضلات وفقرة عظيمة ، مما تقدم يظهر بوضوح أن مرحلة الكتل البدنية Somites تجعل الجنين يبدو وكأنه مضافة وخاصة عند ظهور الأقواس البلعومية Pharyngeal Arches .^١

يقول الدكتور محمد علي البار في كتابه "خلق الإنسان بين الطب والقرآن" وقد كان المفسرون القدامى يصفون المضفة بأنها مقدار ما يمضغ من اللحم وقد ذهبت إلى ذلك في الطبيعة الأولى ولكنني بعد إعادة النظر والمناقشة أرى الآن أن وصف المضفة ينطبق تمام الانطباق على مرحلة الكتل البدنية إذ يبدو الجنين فيها وكأن أسنانا انفرزت فيه ولكننه ثم قذفته وبما أن ظهور الكتل البدنية يكون في القالب فيما بين العشرين والحادي والعشرين وأكمالها فيما بين الثلاثين والخامس

^١ ٤٢٥ - ٤٣٤ P: "Human embryology" - Inderbirsing، علم تكوين الجنين - ص: ١٢٢

والثلاثين فان ذلك ينطبق على منطق ومفهوم الآية الكريمة " فَخَلَقْنَا
الْعَلَقَةَ مُضْعَفَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْعَفَةَ عَظِيماً فَكَسَوْنَا الْعَظِيمَ لَحْمًاً " .
العظماء واللحام :

هذه المرحلة هي الخامسة من مراحل الخلق الإنساني في الوجهة
القرآنية ، وهي تستغرق الأسبوع الخامس والسادس والسابع وفي هذه
الأسابيع تحدث أحداث كثيرة في الجنين المتتطور ، أهم ما يميز هذه
المرحلة تتحول الكتل البدنية Somites عظاماً وظهوراً وبراعم الأطراف ،
وتكشف الميزودرم فيها مكوننا العظام ويسبق الطرف العلوي الطرف
السفلي ببضعة أيام في ذلك .

وتتحول الكتل البدنية Somites إلى جزئين :

جزء أمامي وإنسي ويسمى القطعة الهيكلية Sclerotomes وهي
تكون عظام الفقرات كما أنّ انسياب خلاياه في المنطقة العنقية (٤ - ٨)
يشكل عظام الأطراف العليا وإنسياب خلاياه في المنطقة القطنية (١ - ٥)
والعجزية (١ - ٤) يشكل الأطراف السفلي .. كما تتشكل الأربع
كتل البدنية الواقعة في منطقة الرأس الجزء المؤخرى القاعدى من
الجمجمة وت تكون الأضلاع من نتوءات من العمود الفقري في المنطقة
الصدرية (١ - ٢١) وبذلك يتتشكل معظم الجهاز الهيكلي من هذه
الكتل البدنية ، أما عظام الوجه والفكين وعظام الأذن الوسطى
(المطرقة والسنidan والركاب) فإنها جميع تشکل من القوس البلعومي
الأول ويتكون العظم اللامي Hyoid bone من القوس البلعومي الثاني؛ ولا
يبقى إلا قحفة الجمجمة التي تتكون من الخلايا الميزودرمية المتوسطة
المتكشفة في قمة الرأس والتي تتحول مباشرة من غشاء إلى عظم دون أن
تتحول إلى غضاريف كما هو معهود في أغلب عظام الجسم .

جزء خلفي وظاهري Dorsolateral ويسمي المقطع العضلي الأدمني
الذي سرعان ما ينقسّم بدوره إلى قسميه أدمني Dermomyotome
وهو يشكل أدمة الجلد وما تحت الجلد من أنسجة، عضلي Dermotome

١/ د/ محمد علي البار ، خلق الإنسان بين الطبع والقرآن - ص: ٢٥٢

وهو يشكل معظم عضلات الجسم وخاصة تلك الموجودة في الجذع كما تتساب خلايا هذا القطاع العضلي في المنطقة العنقية (٤-٨) لتكون عضلات الطرف العلوي وفي المنطقة القطنية والعجزية ل تكون عضلات الأطراف السفلية ولا يزال هناك من علماء الأجنة من يقول إن عضلات الأطراف تتكون في موضعها ويكون العظام سابقاً ولو ببعضه أيام تكون العضلات وتأتي العضلات بعد ذلك لتكسو العظام .^١
التسوية والتعديل :

هذه هي المرحلة الأخيرة للخلق الإنساني ولنمو الجنين وتطوره ، وفي القرآن العظيم آيات بيّنات عن مرحلة التسوية والتعديل وهي كما يأتي :

♦ ثمَّ أَشَادَاهُ حَلْقًا أَخْرَى
♦ هُوَ الَّذِي يُصُورُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ^٢
♦ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ^٣
♦ وَصَوَّرَكُمْ فَأَهْسَنْ صَوْرَكُمْ^٤
♦ يَا أَيُّهَا إِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرِبِّكَ الْكَرِيمِ . الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ^٥
في أي صورةً ما شاءَ رَبُّكَ^٦

هذه هي المرحلة الأخيرة لتطور الجنين حسب التعبير القرآني فهي تشمل جميع الأعضاء فالأطراف مثلاً عند أول ظهورها تبدأ كبرعم صغير مكون من تكشف لخلايا الميزودرم (الطبقة المتوسطة) مغطى بقطاء من الطبقة الخارجية (الاكتودرم) ثم ت تكون في الطبقة المكشفة من الميزودرم خلايا غضروفية وترسب النسيج الغضروفي في موضع النسيج الغشائي ثم ما تثبت الخلايا العظمية Osteoblasts أن تظهر فتقوم بتفتيت النسيج الغضروفي كما تكون خلايا آكلة Chondro blasts فتأكل

^١ P:331 "Human embryology" Inderbir sing د / محمد علي البار :

خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، من : ٣٦٤ - ٣٦٥

^٢ سورة المؤمنون : ١٤

^٣ سورة آل عمران : ٦

^٤ سورة الأعراف : ١١

^٥ سورة غافر : ٦٤

^٦ سورة الانفطار : ٦-٨

الفضاريف وخلاياها وتصنع الفضاريف عظاما تكون مراكز للتعظيم Centres of ossification وينتشر منه التعظم في أجزاء الهيكل الغضروفي، إن عملية الهدم والبناء والتسوية والتعديل تكون مستمرة في الجنين بشكل منير إذ كل يوم بل كل ساعة تشهد جديدا أنبوية القلب المستطيلة تتحول إلى شكل S ثم تكون الغرف المتتالية Common Bulbu atrium والبطين العام Common Venricle وبصفة القلب والجيب الوريدي Sinus Venosus ثم يعاد التركيب ليدخل الجيب الوريدي في الأذن الأيمن وتدخل بصلة القلب في البطين الأيمن والأيسر ومن بصلة القلب أيضا جذور الشريان الأورطي والشريان الرئوي .

إن أجهزة الجسم المختلفة لا تزال تهدم ويعاد بناؤها منذ نشأتها إلى الولادة وبعد الولادة إلى آخر وقت يعيش الإنسان ، ولكن هذه التسوية والتعديل والتغيير تقل بعد الولادة ثم تقل بعد البلوغ ولكنها لا تتوقف حتى إلى مرحلة الشيخوخة .

يكثُر التغير في الجنين في الشهر الثاني عن غيره ففي كل لحظة يكون التغيير في الشكل أو في الوظيفة أو في إزالة مجموعة من الخلايا التي أدت وظيفتها أو في بناء مجموعة أخرى .

رغم ذلك يكون هناك جهاز واحد لا يقبل التغير والتبديل المستمر هو الجهاز العصبي (الدماغ والنخاع الشوكي والأعصاب) لا يتغير بعد الولادة من حيث الهدم والبناء ولكنه يتغير من حيث اتصالات الخلايا العصبية ببعضها .



د/ محمد علي البار ، خلق الإنسان بين الطب والقرآن - ص: ٢٦٨
 "Medical Encyclopaedia" Tranvancore Publications,
 Trivandrum- P: 27

نَكْوِينُ الْمَيَاهُ فِي ضُوءِ الْآيَاتِ الْقَرآنِيَّةِ

بِقَلْمِ الْبَاحِثِ حَارِثِ الْأَشْعُرِيِّ *

مُقْدِمَةٌ :

الحمد لله رب العالمين ، الذي خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين ، وأنزل من السماء من ماء نعيم ، وسقى الإنسان من ماء معين . والصلوة والسلام على النبي الأمين ، الذي أرسل رحمة للعالمين . وعلى الله وصحبه أجمعين . والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد .

لا يخفى على ذي لب مكانة الماء في الحياة اليومية . لأنه مادة الحياة وسيد الشراب وأحد أركان العالم بل ركنته الأصلية لأن السماوات خلقت من بخاره والأرض من زبده وقد جعل الله من الماء كل شيء حي كما قال تبارك وتعالى في القرآن المجيد : { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } .

الماء " جوهـر سـيـال بـه قـوـام الـحـيـوان " كـمـا جـاء فـي تـقـسـير رـوـح الـبـيـان عن آيـة { الـذـي جـعـل لـكـم الـأـرـض فـراـشا وـالـسـمـاء بـنـاء وـأـنـزل مـنـ السـمـاء مـاء فـأـخـرـج مـنـ السـمـاء رـزـقا لـكـم } . وـفـي تـقـسـير رـوـح الـبـيـان عن آيـة { وـجـعـلـنـا مـنـ الـمـاء كـلـ شـيـء حـي } " المـاء جـسـم سـيـال قـد اـحـاطـت حـول الـأـرـض " . وـفـي مـعـجم الـحـي " المـاء سـائـل نـشـريـه ، لـا لـون لـه ، وـلـا رـائـحة " . وـفـي مـعـجم الـوـسـيـط " المـاء سـائـل عـلـيـه عـمـاد الـحـيـاة فـي الـأـرـض يـتـرـكـب مـنـ اـتـحـاد الإـدـرـجـين وـالـأـكـسـجـين ، بـنـسـبـة حـجـمـين مـنـ الـأـوـل إـلـى حـجـمـ الـثـانـي " .

وـهـذا المـاء يـنـزـل مـنـ السـمـاء بـلـأـي وـاسـطـة أـمـ هوـ ماـ يـرـتفـع مـنـ الـبـحـور وـالـأـنـهـار ثـمـ يـنـزـلـه اللـهـ تـعـالـى إـلـى الـأـرـض . تـبـيـنـ الـعـلـومـ الـحـدـيـثـةـ القـوـلـ الثـانـي . وـإـذـا نـاقـشـنـا الـحـقـيقـةـ نـفـهـمـ أـنـ المـاءـ نـوـعـيـنـ . النـوـعـ الـأـوـلـ المـاءـ الـذـي يـرـتفـعـ مـنـ يـنـابـيعـ الـأـرـضـ الـتـيـ يـنـزـلـهـاـ . المـاءـ الثـانـيـ الـذـيـ يـنـزـلـ مـنـ السـمـاءـ السـابـعـةـ بـدـوـنـ أـيـ وـاسـطـةـ . لـأـنـ الـقـرـآنـ قـدـ بـيـنـ نـوـعـيـنـ مـنـ المـاءـ . أـخـرـجـ ابنـ أـبـيـ حـاتـمـ وـأـبـوـ الشـيـخـ عـنـ خـالـدـ بـنـ يـزـيدـ قـالـ : الـمـطـرـ مـنـهـ مـاءـ يـسـقـيـهـ .

* قـسـمـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ ، جـامـعـةـ كـيـرـالـاـ ، الـهـنـدـ .

البعث الإسلامي

تكوين المياه في ضوء الآيات القرآنية

العيم من البحر، فيعدبه الرعد والبرق. فاما ما كان من البحر فلا يكون له نبات، وأما النبات فما كان من السماء .
الماء من التبخر :

يرسل الله حرارة الشمس فتبخر مياه البحار فيصعد إلى السماء ماء عذبا ، لا ملوحة فيه . وهذا هو الرأي للعلوم الحديثة . والقرآن يوافقه . عن خالد بن يزيد قال : المطر منه من السماء ، ومنه ما يستقيه الغيم من البحر ، فَيَعْذِنُهُ الرعد والبرق . ولذلك قال الله تعالى في القرآن الكريم " والأرض بعد ذلك دحها ، أخرج منها ماءها ومرعها ". قال أخرج منها معنها أخرج من الأرض أي بالارتفاع من الأرض إلى الفضاء ثم يرسل مطرا بسببه .

السماء لفة العلو فسمى بها السحاب لكونه في العلو . كما قال الإمام الرازي في التفسير الكبير " أنزل من السحاب ماء وسمى الله تعالى السحاب سماء ، لأن العرب تسمى كل ما فوقك سماء كسماء البيت " ^١ .
وقال أيضا في مكان آخر " فإن الأمطار إنما تتولد من أبخرة ترتفع من الأرض وتتصاعد إلى الطبقة الباردة من الهواء فتجمعت هناك بسبب البرد وتنزل بعد اجتماعها وذلك هو المطر " أي يرسل الله حرارة الشمس إلى البحار ثم يصعد الماء إلى الفضاء حتى يوجد في العلا . كما ورد في كتاب التوحيد : يرسل الله حرارة الشمس فتبخر مياه البحار فيصعد إلى السماء ماء عذبا ، لا ملوحة فيه ، ولكن هذا البخار لا يستمر في صعوده ليصب في القمر أو المريخ ، فليس المقصود أن يصب ، إنما المراد أن يصب غيثا لعباد الله في أواسط القارات ، وشتى أجزائها فالحاجة ماسة له هناك فقدر الله نظاما يسير به ماء البحر غيثا لخلفه .

الحرارة التي تبخر المياه وتجعلها ترتفع إلى أعلى المقصود بها أن ترتفع الماء من البحر فوق مستوى الجبال ، لكن لا تعوقه الجبال عن الوصول إلى ما خلفها ، إلى جانبه أن هذا التبخير يخلص الماء من الأملاح ، التي تضر بالإنسان أو الحيوان ، أو النبات . كما قال الله تعالى : {أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرِبُونَ ، أَتَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمَنَنَ أَمْ نَحْنُ الْمَنْزُلُونَ . لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ } ^٢ .

^١ مفاتيح الغيب ، الإمام الرازي (ر) ، ص : ٨٨ ، الجزء الثالث عشر .
^٢ كتاب التوحيد ، عبدالمجيد عزيز الزنداني ، ص : ٢٩ - ٣٠ ، الجزء الأول .

وبهذا القول لتكوين الماء ثلاثة أفعال - (١) التبخر (٢) التكافث
 (٣) التساقط
الأول : التبخر

"تبخر الماء هو عملية فك للروابط الهيدروجينية بين جزيئاته لكي تتطلق كل على حدة ، يتحول بعدها الماء من الحالة السائلة إلى الحالة الغازية . يحتاج الجرام الواحد من الماء إلى ما بين ٥٤٠ و ٦٠٠ سعر حراري من الطاقة لفك الروابط الهيدروجينية بين جزيئاته " .^١

التبخر انتقال الماء من سطح الأرض ، بما فيها من بحار ومحيطات وقارات إلى الغلاف الغازي . وتغطي البحار والمحيطات قرابة ٨٠٪ من سطح الأرض لذلك فهي تسهم بالقدر الأكبر من بخار الماء الداخل للغلاف الغازي . ويأتي الباقي من المسطحات المائية والتربة والنباتات على اليابس . معظم الماء المتبخر يوجد في حالته الغازية مخالطاً الهواء في الغلاف الغازي وليس متكتاثفاً في السحب . ولأن عملية التبخر تستهلك قدرًا كبيراً من الطاقة فإن كمية بخار الماء تزداد مع ارتفاع درجات الحرارة لذلك تعظم كميات بخار الماء الداخلة إلى الغلاف الغازي فوق المحيطات ، وخاصة في المناطق المدارية .

وهذا هو من أهم الخواص للماء . لأنه يتغير من حالة السائلة إلى الحالة الغازية . لا نرى بالعين العادمة . وهو من حكمة الله سبحانه وتعالى . كما قال خليل (ر) في جواهر التفسير "والمراد بإنزال الماء من السماء ؛ إنزاله من هذا الفضاء الذي يعلو الأرض بعد أن تتصاعد إليه الأبخرة – بتأثير حرارة الشمس – من المحيطات والبحار والأنهار فتتجدد في الفضاء لتأثير البرودة ، ويكون منها السحاب فتدفعه الطاقة الحرارية ، وينهمر منه هذا الودق النافع للعباد ، وذلك كله بمشيئة الله ، ولو شاء لخلق الماء في هذه الأرض نفسها من غير أن يتزل من السماء ، ومن غير أن يمر بأي طور من هذه الأطوار " .

الثاني : التكافث

" هو تحول جزيئات الماء من الحالة الغازية (بخار ماء) إلى الحالة

^١ الماء في النظام الإيكولوجي ، الدكتور عساف بن علي الحواس ، ص : ٣٠ .

السائلة ويحدث التكاثف عموماً في الغلاف الغازي عند ارتفاع الهواء الدافئ المحمل ببخار الماء إلى أعلى فيبرد وتنخفض قدرته الاستيعابية لحمل بخار الماء، ونتيجة لذلك يتکاثف فائض بخار الماء حول نوبات التكاثف من عوالق الغلاف الغازي مكوناً قطرات السحب التي قد تكون سائلة أو متجمدة حسب درجات الحرارة^١.

إن بخار الماء خفيف لا يرى ، فيتصاعد إلى أعلى ، فيرسل الله الرياح محملة بذرات (الدخان ، والأتربة ، وحبوب اللقاح) فتلتقط جزيئات بخار الماء بها ، فتشتيرها ، فيتجمع بخار الماء حول تلك الجزيئات الملقة مكوناً أغلفة مائية ، حتى تصل إلى حجم كبيرشاهده سحاباً عندئذ قد أخذ يشقق بتجمع أجزائه فيساعد ذلك على عدم مغادرة بخار الماء لغلاف الأرض قال تعالى : { الله الذي يرسل الرياح فتشير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء و يجعله كسفما فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون } .

وهناك سنة ثالثة وهي : نقل هذا المياه من فوق البحار إلى أعماق القارات ، وذلك بواسطة الرياح التي تسوق السحب دون أن تقاضى من الناس شيئاً أو جراً لأنها مسخرة لهم بأمر ربهم . { وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أكلت سحاباً ثقلاً سقاها بلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجننا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون } .

كان من المفروض أن تزداد الحرارة كلما ارتفعنا إلى أعلى لأننا نقرب من الشمس بالارتفاع ومعنى هذا أن يزداد بخار الماء حرارة كلما ارتفع إلى أعلى . فيزداد خفة في وزنه . فيزداد ارتفاعه في السماء ، فلا ينزل على الأرض أبداً . لكن الله سبحانه قضى بعكس ما يظن الإنسان لأول مرة فقد قضى سبحانه : أن تنخفض الحرارة كلما ارتفعنا إلى أعلى ، حتى تصل إلى مسافة (٨) أميال فوق سطح البحر وهي منطقة تكون السحب . وبعد ارتفاع ثمانية أميال تثبت درجة الحرارة ولا تغير

^١ الماء في النظام البيكولوجي ، الدكتور عساف بن علي الحواس ، ص: ٣٢.

^٢ كتاب التوحيد ، عبد المجيد عزيز الزنداني ، ص: ٢٩ - ٣٠ ، الجزء الأول .

^٣ كتاب التوحيد ، عبد المجيد عزيز الزنداني ، ص: ٣٠ - ٣١ ، الجزء الأول .

حتى تصل إلى ارتفاع (٢٠) ميلاً فوق سطح البحر ، وهنا تبدأ درجة الحرارة في الارتفاع حتى تبلغ أعلى درجة تصل إليها على سطح الأرض ، ثم تنخفض درجة الحرارة انخفاضاً شديداً قبل ارتفاع (٥٠) ميلاً فوق سطح البحر ثم ترتفع بعد ذلك درجة الحرارة حتى تصل إلى درجات عالية جداً ما بين (٥٠) ميلاً ، و (٦٠) ميلاً قد تصل إلى الأعلى .

هذا هو التصميم الحكيم في تكوين طبقات الجو . بما يضمن ارتفاع ماء البحر العذب فوق مستوى الجبال ، ثم وقوفه وتكتشه بالبرودة الموجودة في الطبقة الأولى حتى لا يغادر الأرض ، قال الله تعالى : { وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنما على ذهاب به لقدرون } .^١

الثالث : التساقط

" التساقط عودة الماء من الغلاف الغازي إلى الأرض سواء في حالته السائلة أو في حالته الصلبة . والتساقط هو الآلية الرئيسة لانتقال الماء من الغلاف الغازي إلى الأرض . وهناك أشكال كثيرة للتساقط ، منها البرد ، والثلج والحليل ، ولكن أشهرها وأكثرها شيوعاً هو المطر . وتبلغ إجمالي كميات التساقط السنوي في الدورة الهيدرولوجية العالمية على القارات والمحيطات ٤٢٣ بليون متر مكعب من المياه . ولكن كميات التساقط تتباين مكانياً وزمانياً من سنة إلى أخرى ومن فصل إلى آخر " .^٢

والحاصل أن الله سبحانه وتعالى يرسل حرارة الشمس إلى البحار والأنهار فيرتفع الماء مع تغيره إلى الحالة الغازية . ومعه يخلصه الله من الأملاح التي تضر الإنسان والحيوان والنبات . يرفع الماء من البحر فوق مستوى الجبال ، لكي لا تعيقه الجبال عن الوصول إلى ما خلفها . ثم توقف بخار الماء من الارتفاع في السماء كي لا يتبدد في الفضاء . ثم يرسل الله الرياح محملة بذرات فتلتقط جزيئات بخار الماء بها ، فتستثيرها ، فيجتمع بخار الماء حول تلك الجزيئات الملقة مكوناً أغلفة مائية ، حتى تصل إلى حجم كبير نشاهدها سحاباً . فإذا كان كثيراً تكونت منه السيول العظيمة ، التي تسقط إلى الأرض مكونة مياه الآبار ، والأنهار ، والعيون والمياه الجوفية ، التي نشرب منها ، ونسقي زرعنا وأنعامنا . كما

^١ نفس المرجع ، ص : ٢٩ .

^٢ الماء في النظام الإيكولوجي ، الدكتور عساف بن علي الحواس ، ص : ٣٣ .

قال الله تعالى في القرآن المجيد : { الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً في السماء كيف يشاء و يجعله كسفما فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون } .
الماء من السماء :

وقد وردت اشتان وعشرون آية في القرآن الكريم تبين أن الماء من السماء :

- (١) { الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء }
(البقرة : ٢٢)
- (٢) { إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل من السماء من ماء } (البقرة : ١٦٤)
- (٣) { وهو الذي أنزل من السماء ماء } (آل الأنعام : ٩٩)
- (٤) { إذ يفشיכم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء } (آل الأنفال : ١١)
- (٥) { إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء } (يوسوس : ٢٤)
- (٦) { أنزل من السماء ماء } (رعد : ١٧)
- (٧) { الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء } (إبراهيم : ٣٢)
- (٨) { وأرسلنا الرياح لواحد فأنزلنا من السماء ماء } (حجر : ٢٢)
- (٩) { هو الذي أنزل من السماء ماء } (نحل : ١٠)
- (١٠) { والله أنزل من السماء ماء } (نحل : ٦٥)
- (١١) { واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء } (الكهف : ٤٥)
- (١٢) { الذي جعل لكم الأرض مهدًا وسلك لكم فيها سبلًا وأنزل من السماء ماء } (طه : ٥٣)
- (١٣) { ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء } (الحج : ٦٣)
- (١٤) { وأنزلنا من السماء ماء بقدر } (المؤمنون : ١٨)
- (١٥) { أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء } (الفرقان : ٥٤)
- (١٦) { ولئن سألكم من نزل من السماء ماء } (العنكبوت : ٦٣)
- (١٧) { ومن آياته يرىكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء } (الروم : ٢٤)
- (١٨) { خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسٍ أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء } (لقمان : ١٠)
- (١٩) { ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء } (الفاطر : ٢٧)

^١ سورة الروم ، الآية : ٤٨ .

- (٢٠) { ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء } (الزمر : ٢١)
 (٢١) { والذي نزل من السماء ماء بقدر } (الزخرف : ١١)
 (٢٢) { وزلتا من السماء ماء مباركا } (ق : ٩)

وقال إسماعيل الحق في تفسير روح البيان عن آية { الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء } "أي مطرًا ينحدر منها على السحاب ومنه على الأرض وهو رد لزعم أنه يأخذه من البحر".

وفي كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن خالد بن يزيد قال: المطر منه من السماء، ومنه ماء يسقيه الغيم من البحر، فيعنبه الرعد والبرق. فأما ما كان من البحر فلا يكون له نبات، وأما النبات فما كان من السماء. ومثلها ورد في كتاب "العلو" لحافظ أبو عبد الله الذهبي.

وقال الإمام الشوكاني في تفسير فتح القدير: وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن الحسن أنه سئل: المطر من السماء أم من السحاب؟ قال: من السماء. وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن كعب قال: السحاب غريال المطر، ولو لا السحاب حين ينزل الماء من السماء لأفسد ما يقع عليه من الأرض، والبذر. وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن خالد بن معدان قال: المطر ماء يخرج من تحت العرش، فينزل من سماء إلى سماء حتى يجتمع في سماء الدنيا، فيجتمع في موضع يقال له: الأبرزم، فتجيء السحاب السود، فتدخله، فتشريه مثل شرب الإسفنج، فيسوقها الله حيث يشاء.

وفي تفسير الدر المنثور في التفسير بالتأثر للإمام السيوطي: أما قوله تعالى: { وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم }. أخرج أبو الشيخ في العظمة عن الحسن. أنه سئل المطر من السماء أم من السحاب؟ قال: من السماء، إنما السحاب علم ينزل عليه الماء من السماء. وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن كعب قال: السحاب غريال المطر، ولو لا السحاب حين ينزل الماء من السماء لأفسد ما يقع عليه من الأرض،

^١ سورة البقرة، الآية: ٢٢.

^٢ تفسير روح البيان، إسماعيل الحق، في تفسير آية سورة البقرة: ٢٢.

^٣ فتح القدير، الإمام الشوكاني، في تفسير سورة البقرة، الآية: ٢٢.

والبذر ينزل من السماء .^١

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن خالد بن معدان قال : المطر ماء يخرج من تحت العرش ، فينزل من سماء إلى سماء حيث يجمع في السماء الدنيا ، فيجتمع في موضع يقال له الأبزم ، فتجيء السحاب السود ، فتدخله فتشريه مثل شرب الإسفنج ، فيسوقها الله حيث يشاء .^٢

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة قال : ينزل الماء من السماء السابعة ، فنفع القطرة منه على السحابة مثل البعير .

وقد ورد في تفسير هميـان الزـاد إلى دار العـاد : قال خـالد بن مـقـدان : المـطـر مـاء من تـحـتـ الـعـرـشـ فـيـنـزـلـ منـ سـمـاءـ إـلـىـ سـمـاءـ حتـىـ يـجـمـعـ فـيـ سـمـاءـ الدـنـيـاـ ، فـتـجـيـءـ السـحـابـ السـوـدـ فـتـدـخـلـهـ فـتـشـرـيـهـ مـثـلـ شـرـبـ الإـسـفـنجـ فـيـسـوـقـهـ حـيـثـ يـشـاءـ ، وـعـلـىـ كـلـ حـالـ ، مـنـ : لـلـابـدـاءـ فـإـنـ المـطـرـ يـبـتـدـئـ مـنـ الجـنـةـ أـوـ السـمـاءـ إـلـىـ السـحـابـ ، وـمـنـ السـحـابـ إـلـىـ الـأـرـضـ .^٣

فـقـالـ أـبـوـ عـلـيـ الـجـبـائـيـ فـيـ تـفـسـيرـ : { وـهـوـ الـذـيـ أـنـزـلـ مـنـ السـمـاءـ مـاءـ } . إـنـهـ تـعـالـىـ يـنـزـلـ المـاءـ مـنـ السـمـاءـ إـلـىـ السـحـابـ ، وـمـنـ السـحـابـ إـلـىـ الـأـرـضـ . قـالـ لـأـنـ ظـاهـرـ النـصـ يـقـضـيـ نـزـولـ المـطـرـ مـنـ السـمـاءـ ، وـالـعـدـولـ عـنـ الـظـاهـرـ إـلـىـ التـأـوـيلـ ، إـنـمـاـ يـحـتـاجـ إـلـيـهـ عـنـدـ قـيـامـ الدـلـيلـ عـلـىـ أـنـ إـجـرـاءـ الـلـفـظـ عـلـىـ ظـاهـرـهـ غـيـرـ مـمـكـنـ ، وـفـيـ هـذـاـ الـمـوـضـعـ لـمـ يـقـمـ دـلـيلـ عـلـىـ اـمـتـاعـ نـزـولـ المـطـرـ مـنـ السـمـاءـ ، فـوـجـبـ إـجـرـاءـ الـلـفـظـ عـلـىـ ظـاهـرـهـ .

وـقـدـ قـالـ الإـلـمـامـ الرـازـيـ فـيـ التـفـسـيرـ الـكـبـيرـ عـنـ آـيـةـ { إـنـ فـيـ خـلـقـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـاـخـتـلـافـ الـلـلـيـلـ وـالـنـهـارـ وـالـفـلـكـ الـتـيـ تـجـرـيـ فـيـ الـبـحـرـ بـمـاـ يـنـفـعـ النـاسـ وـمـاـ أـنـزـلـ اللـهـ مـنـ السـمـاءـ مـنـ مـاءـ فـأـحـيـاـ بـهـ الـأـرـضـ بـعـدـ مـوـتـهـاـ وـبـثـ فـيـهـاـ مـنـ كـلـ دـاـبـةـ وـتـصـرـيفـ الـرـيـاحـ وـالـسـحـابـ الـمـسـخـ بـيـنـ السـمـاءـ وـالـأـرـضـ لـأـيـاتـ لـقـوـمـ يـعـقـلـوـنـ }^٤ : فـإـنـ قـيـلـ : أـفـتـقـولـوـنـ : إـنـ المـاءـ يـنـزـلـ مـنـ السـمـاءـ عـلـىـ الـحـقـيـقـةـ أـوـ مـنـ السـحـابـ أـوـ تـجـوـزـوـنـ مـاـ قـالـهـ بـعـضـهـمـ مـنـ أـنـ الشـمـسـ تـؤـثـرـ فـيـ الـأـرـضـ فـيـخـرـجـ مـنـهـ أـبـخـرـةـ مـتـصـاعـدـةـ فـإـذـاـ وـصـلـتـ إـلـىـ الـجـوـ

^١ الدر المنثور في التفسير بالتأثر ، الإمام السيوطي ، ص : ٣٤ ، ج ١ .

^٢ فتح القيدير ، الإمام الشوكاني ، ص : ٥٨ .

^٣ هميـانـ الزـادـ إـلـىـ دـارـ العـادـ ، فـيـ تـفـسـيرـ سـوـرـةـ الـبـقـرةـ ، الـآـيـةـ : ٣٧ .

^٤ سورة البقرة ، الآية : ١٦٤ .

البارد يردت فنزلت من قضاء المحيط إلى ضيق المركز ، فاتصلت فتولدت من اتصال بعض تلك الذرات بالبعض قطرات هي قطرات المطر . القول إنه ينزل من السماء كما ذكره الله تعالى وهو الصادق في خبره ، وإذا كان قادرا على إمساك الماء في السحاب ، فأي بعد في أن يمسكه في السماء ، فاما قول من يقول : إنه من بحار الأرض فهذا ممكن في نفسه ، لكن القطع به لا يمكن إلا بعد القول بنفي الفاعل المختار ، وقدم العالم ، وذلك كفر ، لأننا متى جوزنا الفاعل المختار القادر على خلق الجسم ، فكيف يمكننا مع إمكانه هذا القسم أن نقطع بما قالوه .

وقد ورد أيضا في عيون التفاسير للفضلاء السماسير : { وأنزل من السماء ماء } أي مطرا ينحدر منها على السحاب ، ومنه على الأرض ولا يأخذه من البحر وهو رد لزعم من زعم أنه يأخذه من البحر .^١

والحاصل منها أن الماء يجيء من السماء السابعة تحت العرش إلى السحاب ثم إلى الأرض . وفي تفسير روح البيان " والجمهور على ان أول ما خلق الله من الاجسام هو العرش ومن الأرواح الروح الحمدي " .^٢ خلق الله سبحانه وتعالى العرش والماء قبل خلق السماوات والأرض . وقال الله سبحانه وتعالى في سورة هود { وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا } .^٣ وبعد خلق الله العرش خلق الماء من ياقوتة خضراء ثم وضع العرش على الماء كما ورد في تفسير روح البيان لإسماعيل الحقي في تفسير سورة هود للآلية السابعة " قال كعب الأحبار أصله ياقوتة خضراء فنظر إليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد من مخافة الله تعالى فلذلك يرتعد الماء إلى الآن وإن كان ساكنا ثم خلق الريح فجعل الماء على متها أي ظهرها ثم وضع العرش على الماء " .

وفي تفسير ابن كثير : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين

^١ عنه : التفاسير لفضلاء السماسير ، شهاب الدين أحمد بن محمود السيواسي ، ص ٣٥ ، الجزء الأول .

^٢ روح البيان ، إسماعيل الحقي ، في تفسير سورة هود ، الآية : ٧ .
^٣ سورة هود ، الآية : ٧ .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أقبلوا البشرى يا بني تميم" قالوا : قد بشرتنا ، فأعطيتنا ، قال : "أقبلوا البشرى يا أهل اليمن" قالوا : قد قبلنا . فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان ؟ قال : "كان الله قبل كل شيء ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء" .^١

وقد ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله قادر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء" . وقال البخاري في تفسير آية { وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء } حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، أخبرنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "قال الله عز وجل : أنفق أنفق عليك" وقال : "يد الله ملائى لا تفيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار" وقال : "أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ؟ فإنه لم يغض ما في يمينه ، وكان عرشه على الماء ، وبهذه الميزان يخفض ويرفع" .^٢

وفي تفسير الطبرى : حدثى المشتى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حدس ، عن عممه أبي زين العقيلي ، قال : قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال : "في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ، ثم خلق عرشه على الماء" .^٣

وكل هذه الأحاديث يدل على أن العرش يقع على الماء . وقد وردت أحاديث كثيرة على أن الماء يخرج من تحت العرش . فقد ورد في حديث رواه الحافظ ابن عساكر بإسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في استسقاءه : "اللهم أنزل علينا من الماء الذي تحت عرشك" . وهذا الحديث دليل على أن المطر ينزل من تحت العرش .

^١ تفسير ابن كثير ، ص : ٣٠٦ ، المجلد الرابع .

^٢ صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٤٦٨٤ ، كتاب التفسير ، باب قوله وكان عرشه على الماء .

^٣ تفسير جامع القرآن ، الإمام الطبرى ، في تفسير سورة هود ، الآية : ٧ .

وقد أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن خالد بن معدان قال: المطر ماء يخرج من تحت العرش ، فينزل من سماء إلى سماء حيث يجمع في السماء الدنيا ، فيجتمع في موضع يقال له الأبزم ، فتجيء السحاب السود ، فتدخله فتشريه مثل شرب الاسفنجة ، فيسوقها الله حيث يشاء .^١ ومثلها ورد أيضاً في الدر المنثور للإمام جلال الدين السيوطي .

وقد ورد أيضاً في فتح القيدير : عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال : قال علي عليه السلام : "المطر الذي منه أرزاق الحيوان من بحر تحت العرش ، فمن ثم كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستطر أول مطر ، ويقوم حتى يبتل رأسه ولحيته ، ثم يقول : إن هذا (ماء) قريب عهد بالعرش ، وإذا أراد الله تعالى أن يمطر أنزله من ذلك إلى سماء بعد سماء حتى يقع على الأرض ." .

وقد ورد هذا الحديث بتغير قليل في كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي : عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال : قال علي عليه السلام : المطر الذي منه أرزاق الحيوان من بحر تحت العرش ، فمن ثم كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستطر أول مطر ، ويقوم حتى يبتل رأسه ولحيته ، ثم يقول : إن هذا (ماء) قريب عهد بالعرش ، وإذا أراد الله تعالى أن يمطر أنزله من ذلك إلى سماء بعد سماء حتى يقع على الأرض . ويقال : المزن ذلك البحر ، وتهب ريح من تحت ساق عرش الله تعالى تلقي السحاب ، ثم ينزل من المزن الماء ، ومع كل قطرة ملك حتى تقع على الأرض في موضعها .

وكل هذه الأحاديث الواردة تدل على أن الماء يخرج من تحت العرش . وهذا العرش يقع في السماء السابعة . كما ورد في الأحاديث والتفاسير . وأن العرش سمي به لارتفاعه .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا أحب الله عبداً نادى جبرائيل فقال : إني أحب عبدي فأحبوه فينادي جبرائيل في حملة العرش فتسمع أهل السماء لفط حملة العرش فيحبه أهل السماء السابعة ثم سماء سماء حتى ينزل إلى السماء الدنيا ثم يهبط إلى الأرض

^١ فتح القيدير ، الإمام الشوكاني ، ص : ٥٨ .

بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ، ص : ٢٨٢ .

فيجبه أهل الأرض". وفي هذا الحديث يبين حملة العرش فوق السماوات السابعة . وفي معناها ورد حديث آخر في صحيح مسلم : عن عبد الله بن عباس قال أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "... ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبّح حملة العرش ثم سبّح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبّيح أهل هذه السماء الدنيا ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال . قال : فيستخبر بعض أهل السماء بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا " فهذا ظاهر جداً في أن العرش وحملته فوق جميع السماء .

وعن عبد الله بن عمرو قال : جعل الله فوق السماء السابعة الماء ، وجعل فوق الماء العرش . وقال الحافظ عبد الله الذهبي في كتابه "العلو" سمعت عبد الله بن عمرو ، قال : "جعل الله فوق السماء السابعة الماء ، وجعل فوق الماء العرش ، والذين فسيبده ، إن الشمس والقمر ليعلمان أنهما سيصيران إلى النار يوم القيمة ".

وفي كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي : أخرجه ابن حزم في صحيحه (١٠٥) وفي كتاب التوحيد له (رقم ٥٩٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " بين السماء الدنيا والتي تليها خمس مائة عام ، وبين كل سماء مسيرة خمس مائة عام . وفي رواية " وغلظ كل سماء مسيرة خمس مائة عام ، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمس مائة عام ، وبين الكرسي وبين الماء خمس مائة عام ، والعرش فوق الماء والله فوق العرش ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم " عكرمة وخالد بن معدان وغيرهما من السلف : المطر ينزل من تحت العرش .

والخلاصة من الأحاديث الواردة المتقدمة أن الماء في السماء السابعة . والعرش فوقه . وينزل منها الماء إلى السماء الدنيا . أي على السحاب ، ثم يجيء ذلك إلى الأرض . ولذلك قال الله سبحانه وتعالى : { وأنزل من السماء ماء } في المواضيع التي وردت في القرآن عن إنزال الماء . ومن هذه الأحاديث النبوية والآيات القرآنية نفهم أن الماء الذي نحصل من السماء السابعة ومن التبخر من مصادر المياه إلى السماء ثم ينزلها إلى الأرض مطرا . والله على كل شيء قادر .

ثقافة جزيرة العرب وأدبها

(الحلقة الأولى)

بقلم : العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوبي

تعریف : محمد فرمان الندوبي

إن ثقافة العرب في العصر الجاهلي لم تكن أوسع بكثير ، فتقىقت ثقافتهم على النثر والشعر والأمثال والقصص ، والواقع أن نطاق أعمالهم ونشاطاتهم الفكرية لا يتسع لأكثر من ذلك ، فلم يكن هنا أثر ضئيل للعلم والفلسفة في حياتهم ، وكان سببه كما هو معلوم أن حياتهم الاجتماعية بعيدة كل البعد عن الحضارة ، ومحرومة إلى حد كبير من الاستفادة من الأمم الأخرى ، فلا يمكن أن يتطرق إليهم العلم والفلسفة ، فكان وجود رجال متقدفين نادراً في العرب ، وكل من تعلم شيئاً أو تثقف ذهب خارج جزيرة العرب ، ولم يكن في حياة جزيرة العرب الخاصة مجال أوسع من ذلك ، فكان العرب يسمون المتقدفين كتاباً ، ولا شك أن جل علومهم كان لسانياً ، يعتمد على الذاكرة واللسان ، ولا علاقة له بالقراءة والكتابة ، بل على الرواية والحفظ ، وكان نطاق هذا العلم محدوداً ، ويختص بحياة جزيرة العرب ، فكان في العرب علماء الأنساب ، والمطلعون على التغيرات الفصلية وآثارها ، ويسمونها بالأنواء ، كما ورد في الحديث النبوي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يقول أحد : مطرنا بنو كذا^١ ، وكان فيهم عارفون بالتاريخ والطب ، لكن هذه المعرفة كانت بدائية وبسيطة لا نستطيع أن نعتبرها علمًا مستقلًا ، أما التجارب والممارسات الإنسانية فقد استفادوا في ضوئها من شعورهم وفهمهم استفادة كثيرة ، إن تقرس الماء في الصحاري ، ومعرفة آثار

^١ عن زيد بن خالد الجوني أنه قال : صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحدبية على إثر سماء ، وكانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس ، فقال : أتدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي ، وأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي ، وكافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنو كذا وكذا ، فذلك كافر بي ، ومؤمن بالكوكب . (مؤطا الإمام مالك : ٦٥٣)

الأقدام الخفية ، والاطلاع على الأسرة والقبيلة من ملامح الوجوه ، والحوار ، كان عاماً في العرب ، لكن عناصر ثقافتهم الأساسية التي جاء التأكيد في أدبهم أربعة : معرفة اللغة (النثر) والشعر ، والأمثال ، والحكايات ، نذكرها بشيء من التفصيل:

١ - معرفة اللغة :

إن اللغة العربية كانت تتطق بها وتفهم في جزيرة العرب كلها ، لكن تختلف لغات المناطق والقبائل بعضها من بعض ، وكان هذا الاختلاف كثيراً بين نصف شمال جزيرة العرب ونصف جنوبها ، ذلك لأن الأمم المجاورة لهاتين الجهتين كانت تحمل ثقافة مستقلة ، فكان لها تأثير عليهما ، أما القبائل الأخرى عامّة فكان اختلاف اللغة فيها ضئيلاً ، وهو أن بعض الكلمات شاعت أحياناً في قبيلة ، وفي قبيلة أخرى عُرفت كلمات أخرى في نفس المعنى ، لكن هذه الكلمات كانت لغة العربية ، فاتساع نطاق اللغة العربية اتساعاً ، ودونت هذه اللغة بعد مئات من السنين ، لأن العرب قد اعتمدوا على قوة ذاكرتهم إلى مدة ، فلم يعتنوا بجمعها وترتيبها ، وكان من نتيجة هذا التأخير أن اللغة العربية حينما دونت في العهد العباسي الأول فاستحال استيعابها وجمعها كاملاً من مناطق مختلفة من جزيرة العرب ، فلم يجمع إلا ربع العربية - حسب آراء الباحثين - .

إن لغة الحجاز ونجد في جزيرة العرب كانت أوضح ، وتعتبر لغة قريش وأعلى هوازن وأسفل تميم أكثر فصاحةً ، وإنبني سعد الذين كانت منهم حليمة السعدية تتتمى إلى قبيلة هوازن ، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه مرة : "أنا من قريش ، رضفت في بنى سعد" ^١ . ومناطق هذه القبائل مكة ومناطق شمالها وشرقيها .

ويكون في اللغة اختلاف أداء الكلمات والحروف مع الاختلافات الأخرى ، وهو أن بعض القبائل تتصرف في بعض الحروف ، مثلاً بنو تميم يبدلون الممزة الابتدائية بالعين ، يقولون : عسلم بدل أسلم .

ورد في المعجم الكبير للطبراني : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ، أنا أعرّب العرب ، ولدتني قريش ، ونشأت في بنى سعد بن بكر ، فأنتي يأتيكني اللحن" .

وبنوا هُدَيْل يبدلون "ح" بـ "ع" يقولون : عرب بدل : حرب .
 وبنو قضاعة يبدلون "ي" بـ "ج" يقولون : تميمج بدل : تميمي .
 وبنو سعد يبدلون "ع" بـ "ن" يقولون : أنسن ، بدل : أعطى .
 وبنو تميم ينطقون بحرف "گ" رغم أنه ليس عربياً .
 وربما يرى البعض تزيidan بعد "ك" الخطاب حرف "ش" يقولون :
 عليکش بدل : عليك ، وتبدلان "ج" بـ "گ" ، ومثل هذا التصرف
 الحرفي يقوم به سكان مصر أيضاً ، إلا أنهم يبدلون "ق" بالهمزة ،
 فيقولون : يئول ، بدل : يقول ، وسكان حضرموت يبدلون "ق" بـ "گ"
 مثلاً گل بدل : قال ، وقد انتشرت هذه اللهجة الحضرمية في مناطق أخرى
 من جزيرة العرب ، ومعظم سكان الحجاز يبدلون "ق" بـ "گ" ، وقد
 شاع في نجد أن بعض قبائلها يبدلون "ك" بـ "ج" فيقولون : "چيف" بدل
 "كيف" ، ورغمًا من هذه الفروق إذا نطقوا بحرف نطقوا عاممة بصحة ،
 أنزل الله تعالى القرآن الكريم في لهجات متعددة ، لكن لهجته الأصلية
 خصت بقريش ، وأخيراً قرر الصحابة رضي الله عنهم أن يروجوا النسخة
 القرشية للقرآن الكريم ، فالنسخة الحالية للقرآن الكريم ذات لهجة
 قرشية ، فصارت اللغة العربية بفضل القرآن وتأثيره قرشية ، ويراد من
 اللهجات العربية صور وأشكال فرعية من اللغة العربية .

٢ - الشعر :

الواقع أن أدب العرب هو شعرهم ، ويحمل الشعر العربي عندهم
 مكانة وأهمية ، قلما يقدره قوم آخرون ، وكان الشعر ثروة حياة العرب
 الفكرية والثقافية ، وكانوا مشغولين به للغاية ، وماهرين فيه مهارة
 تامة ، وكان فهم الشعر لأجهل العرب موثوقاً به ، فيعتبر كل عربي في
 ذلك العصر حجة على الإطلاق ، كان العرب يعبرون في شعرهم عن
 ملامح حياتهم المحدودة بأساليب جميلة ومناهج صادقة ، وتحمل تعبيراتهم
 وأساليبهم سلاسة وفصاحة ، ويعبرونها مقاييسًا لشعرهم ، فالذين
 يتكلفون الشعر يختارون أسلوباً يشتمل على السلسة والفصاحة والبلاغة
 والبيان ، وقرر العرب الشعر أكبر أداة لعرض عواطفهم وانطباعاتهم
 وخصائصهم القومية والأوضاع الوطنية وقصصها وتصويرها تصويراً
 صادقاً ، وبما أن حياتهم تخلو عن نشاطات علمية أو عملية تشغلهما في

معظم الأحيان ، فيجدون فرصةً مواتيةً للنظر في أحوالهم ، ثم إبداء عواطفهم التي تنشأ في أذهانهم ، وظهور هذه الفرصة عملياً في صورة الجوار والضيافة ، أو في صورة الحرب والضرب ، وفي صورة الشعر نظرياً ، فصار الشعر مرآة صادقة لحياتهم ، وبكفي لمعرفة أحوال العرب من جهات شتى دراسة شعرهم عاممة ، واشتهر هذا المثل السائر عن شعرهم : "الشعر ديوان العرب" ، ونظراً إلى أهمية الشعر لديهم ازدادت رغبة العرب فيه فوسعوا نطاقه ، وإن كان هذا التطور في نطاق حياتهم المحدودة ، التي يعيشونها ، وكانت عنابة العرب بالشعر أنه كسب أهمية كبيرة من الفصاحة والقوية والتأثير ، وأدى في بعض الأحيان دوراً بارزاً ، لا يمكن أن تؤديه الحروب والقوى الكبرى والقناطير المقتدرة من الذهب والفضة ، وربط الشعر العربي جأش الناس لممارسة شجاعتهم في الحروب ، كما أنه مهد طريق المصالحة بين القبائل المتحاربة ، وأذلَّ الفسائل الشريفة ورفع مكانة القبائل المنحطة ، وأعلى شأن الرجال بدل إهانتهم بالرفة ، ورفعتهم بالإهانة ، وتوجد أمثلة عديدة لتأثير الشعر في تاريخ الأدب العربي ، إن جريراً الشاعر أراد إساءة سمعةبني نمير ففرض شعراً وأصابع في مرامه ، فانخفض منه رأس بنى نمير ، لم يستطيعوا أن يفسروا أثر هذا العار ، قال جرير :

ففُضَّلَ الطرفُ ، إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ
فَلَا كَعْبًا بَلْغَتْ وَلَا كَلَابًا

وكان بنو أنس الناقة يلقبون بلقب أنس الناقة ، ولا يتمكنون أن يجيبوا عنهم ، فأزال الحطيئة ذلتهم هذه بشعره :

قُومٌ هُمُ الْأَنْفُ ، وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ
وَمَنْ يُسْوِي بِأَنْفَ النَّاقَةِ الذَّنْبَ

كانت للمحلق ثلاثة بنات ، لا يرغب أحد في التزوج منها ، فبناءً على مدح الأعشى للمحلق في قصيدة رائعة كبيرة وجدت هؤلاء البنات أزواجاً بارزين أثرياء ، قال الأعشى :

^١ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : إذا قرأت شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه ، فاطلبوه في أشعار العرب ، فإن الشعر ديوان العرب (العمدة في محسن الشعر وأدابه لابن رشيق القمياني ج ٤ / ٤) .

تشب لم قرورين يص طليانها
وبات على النار الندى والمحلق
رضي مي لبان ثدي أم تقاسما
بأس حم داج عوض لا نتفرق
ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه
كما زان متن الهنداوي رونق

أقسام الشعراء :

قد انقسم شعراء العصر الجاهلي إلى أقسام عديدة ثقافيةً واقتصادياً ، فمثلاً كان أمرو القيس سرياً ، وكان زهير بن أبي سلمي كريماً ، وسليم الطبع ، والتابعة الذياني كثير الاختلاف إلى البلاط ، وظرفة بن العبد رجلاً شعيباً وصعلوكاً ، تتجلّى من شعرهم إشراقات الاتجاهات والنزعات الجاهلية .

الشعراء الصعاليك :

وكان في شعراء العصر الجاهلي صنف ، يُعرف بالشعراء الصعاليك ، وكانوا يعيشون عيشة السلب والنهب ، وتتجلى من شعرهم ملامح حياتهم ، وفي الشعراء الصعاليك الشنيري ، الذي اشتهرت قصيده بلامية العرب ، فقد قدم فيها آثار الحياة الشاقة ذات الواقع .

وشايعر صعلوك آخر تأبطة شرًّا ، الذي يُعدُّ من كبار شعراء العصر الجاهلي ، وكان فيهم عروة بن الورد ، الذي كان يحمل المروءة رغم صعلكته ، وقد أثني عليه سيدنا معاوية رضي الله عنه في كلامه أنه كان ينصر الملهوفين ، ويتعهد الفقراء والمساكين ، ويبعد عن التشديد على الضعفاء .

ونوع من الشعراء ، الذين جعلوا الأخلاق والمثل العليا موضوع شعرهم ، يُذكر فيه اسم حاتم الطائي بوجه خاص ، وكان من فطاحل الشعراء بكونه مضرب المثل في السخاء ، ذكر مؤرخو الأدب العربي أن له معلقة .

أهم موضوعات الشعر الجاهلي :

من أهم موضوعات الشعر الجاهلي الفخر ، والشجاعة والغزل ،

وال مدح والهجو وتصوير المشاهد والرثاء وذكر الضيوف ، واستضافتهم ، وتتعدد فيه الأخلاق والتجارب العامة من الحياة ، لكن أبرز موضوعاته هو الفخر والشجاعة والغزل ، يذكر شعراء العهد الجاهلي عاماً في بداية الغزل ديار الحبيب وحمله ، ثم يبدون انتبا乎اتهم وأحوالهم .

كانت جميع قصائد المعلقات على هذا الأسلوب ، وتبتدئ كل معلقة بذكر الحبيب وحمله الظاهري ، وتذكر فيها موضوعات كثيرة ، ويأتي صلب الموضوع في وسط القصيدة .

أسلوب القصائد :

إن كلمة القصيدة تستعمل في كلا النوعين : النظم والغزل من الشعر العربي ، فيعرف ذكر حسن الحبيب بالتشبيب ، ويتميز الشعر العربي بعناصره التكوينية ، وظل هذا الأسلوب إلى قرون ، حتى قلدته شعراء في عهد الحضارة والمدنية ، واختاره سيدنا كعب بن زهير في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك اختياره الشاعر الأردي محسن الكاكوري أيضاً .

إذا فتشت ميزة اللغة وأدب كانت ميزة اللغة العربية الجزلة والفحامة ، التي تتجلى من كلماتها كثيراً ، وكان العهد الجاهلي يحمل مثل هذه الخصائص البارزة ، لم يكن هذا العهد عهد القراءة والكتابة ، بل كان عهد الأممية والجهالة ، فظهر النبوغ الشعري في الكلمات والتعبيرات أكثر من المعنى ، وكانت علاقته بالحياة الصحراوية الشاقة كثيراً ، وظل هذا الاتجاه مؤثراً في جميع عصور الشعر إلى حد ممكן .

الميزة الثانية في العهد الجاهلي هي الصدق والتوصير الصادق للعواطف الإنسانية والشاعر البشرية ، وهي ميزة بارزة للشعر العربي بعد جزالة الألفاظ وفصاحة الكلمات ، هذا الذي جعله الشعر العربي مؤثراً كثيراً ، بل صائفاً لاتجاهات رغم عدم التعمق في المعاني .

(للبحث صلة)



الأستاذ أحمد أمين هو أبرز الكتاب المعاصرين إنتاجاً علمياً وأدبياً

(الحلقة الثانية الأخيرة)

الدكتور معراج الدين الندوبي

قاموس العادات والتقاليد المصرية :

جاء الأستاذ أحمد أمين في كتابه "فيض الخاطر" بالحياة المصرية مع اهتمام بالغ نرى أثره في مقالات "فيض الخاطر" المختلفة حيث رصد قلمه السعال ظواهر شعبية كثيرة ، وحللها ، وأخرج نتائج وطيدة ، وكان في مؤلفاته العلمية قد أخذ على المؤرخين العرب أن أكثرهم لا يهتم بدراسة الشعب فيما كتبه من فصول التاريخ ، إذ آثر هؤلاء الحديث عن الملوك والرؤساء والوزراء .

ولذلك نجد الأستاذ أحمد أمين أنه قام بتسجيل العادات والتقاليد والتعابير المصرية في عصره الذي عاش فيه بدائرة معارف كبيرة ، كانت مصدر نفع مؤكد للباحثين .

فهذا القاموس يشتمل على طرائف ونواذر ، ذكر الأستاذ أحمد أمين فيه الأقاقيص التي لم يأت بها سواه ، ذكر فيه عن السحرة والشعوذة والمرأة والأحلام والأولياء والنذور ، والتجار والصناع .

إن الأستاذ أحمد أمين قد قال في مقدمة القاموس :

"قد يؤخذ على أن في نشر هذه الأشياء تشهيراً بالمصريين ، وخطأً من شأنهم ، أن أكثرها خرافات وأوهام ، وانتشار الثقافة بين المصريين وخصوصاً النساء أزال كثيراً منها ، ولكن عذرني في ذلك أنها تسجيل لما كان ، وحمد لله على أخذها في الزوال ، والحق أحق أن يقال من غير اعتبار للوم لائم أو اتهام متهم ، فإذا رأي رأء أن في هذا عيباً وتشهيراًرأيت أن في هذا مفخرة للمصريين ".

المسلك الذي سلك به الأستاذ أحمد أمين في هذا القاموس يعلق

^١ رئيس التحرير لمجلة التلميذ ، سرينجر ، كشمير ، بالهند . merajnadv@gmail.com

عليه الأستاذ محمد رجب البيومي تعليقاً ملائماً :

"إن الأستاذ أحمد أمين كان مثل عتيد كاتب السينات في أكثر أحواله ، ولم يكن كرقيب كاتب الحسنات ، إذ من العادات المصرية حينئذ ما كان يحمد مثل الأرحام والعطف على الفقير ، وبناء المساجد والأسبلة ، وتشجيع الكتاتيب التي تعمل على حفظ القرآن الكريم ، والتكافل التام عند وقوع الدواهي مثل الحرائق والسيول ، وكثير من هذه المحامد التي يجب أن تُسجل جوار هذه النائلات ، وقد أشار الأستاذ إلى بعضها باقتضاب ، ولكنه لم يبلغ في ذلك مبلغ الانصاف المنتظر وعلى كل حال هذا الكتاب من الكتب القيمة الجديرة بالدراسة وتكون قيمته في منهجه القائم على استقلال التفكير ، وهو سجل حافل بالأحوال الاجتماعية ، والتقاليد الشعبية والأحداث الجذابة وبالجملة موسوعة متکاملة للمجتمع المصري ."

الشرق والغرب :

هذا هو الكتاب الذي كتب فيه الأستاذ أحمد أمين فحصولاً عن المدينة الحديثة ، مظاهرها ومزاياها وعيوبها ، وعن الاستيراد والديمقراطية ، والثقافة والحياة الاجتماعية ، والحياة الاقتصادية ، والفرد والأسرة ، والمرأة والتقليد والابتكار ، والقيم الأخلاقية المرموقة السامية ، وهي مسائل خاصة تحدث فيها الأستاذ أحمد أمين من قبل في مقالاته المختلفة ، ولكنه أراد أن يقوم بتأليف كتاب حافل بهذه المسائل كلها .

إلى ولدي :

الأستاذ أحمد أمين هو علم من أعلام الفكر العربي والإسلامي ، أسهم في إحياء كثير من كتب التراث العربي القديم ومن دعم النهضة التعليمية والأدبية بمؤلفاته الكثيرة في التاريخ والأدب واللغة والاجتماع وله كتب عدة منها في مجال التربية كتاب شهير "إلى ولدي" وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل الموجهة للأبناء المغتربين هادفة الإصلاح والتقويم ،

^١ أحمد أمين مؤرخ الفكر الإسلامي ، للدكتور محمد رجب البيومي ، ص ١٢٤ .

ضمنها نصائح أبيوية للناشئين ، وما ينبغي أن يكونوا عليه من جد ومتابرة وإخلاص وعلم وطموح ، والبعد عن الرذائل والانحراف والالتواء .

لقد شملت تلك النصائح على توجيهات سديدة وحب وإخلاص لإشاعة الفضيلة والثقة ، فكانت رسائل واضحة مضيئة ، وحث على سلوك الطريق القويم .

رُعماء الإصلاح في العصر الحديث :

أما كتاب "رُعماء الإصلاح في العصر الحديث" فاشتهر اشتهاراً دائمًا : لأنَّه قرر على طلاب المدارس عدة سنوات ، فكثُرت طبعاته وتداولتها الأيدي على نطاقٍ واسعٍ ، وإنَّ هذا الكتاب كتاب ثقافية سياسية أدبية ، وضع أسلوبًا جديداً في الكتابة؛ السهل الممتع ، والذي يعتمد على التشويق والقصص ، وتحليل التجارب مخاطبة وجдан القارئ ، والقدرة على إقناعه بأسلوب أدبي تصويري ، مثل عادة القدماء والمحدثين ، كما تقلب عليه النزعة الإنسانية العامة ، والرغبة في تغيير الواقع ، والمساهمة في الإصلاح الاجتماعي ، لا فرق بين الكاتب والقارئ ، يتعاطف معه القارئ ، ويود المساهمة فيه ، كما أنه يجمع بين القديم والجديد ، بين التراث والعصر ، فليس من أغراض الكتاب التقسيي لرُعماء الإصلاح ، وليس هو كتاباً تاريخياً بالمعنى الدقيق ، أو كتاب السير والترجمات يحيط صاحبه جميع أصحاب الإصلاح في عصر معين ومحدد ، فليس عليه حرج ونزاع إلى الانتقاد بأنه تخير من يملك مادة علمية يستطيع من خلالها أن يقدم نموذج إصلاحهم ، وهو نموذج لا شك ينتبخ على غيرهم ممن حذا حذوه ، وقد حدد الأستاذ أحمد أمين مرماه وغايتها في مقدمة كتابه إذ قال :

" وقد رجوت منه أن يكون فيما يصور من حياة المصلحين ونوع إصلاحهم باعثاً للشباب ، تستثير هممهم ، فيحتذون حذو أولئك المصلحين ، ويهتدون بهديهم ، وينهضون بأممهم ، والله يوفقهم " ^١ .
وإن أسلوب الكتاب فهو في وضوحه السافر وفي عاطفته الصادقة

^١ رُعماء الإصلاح ، لأحمد أمين ، ص ٢ .

المتوجهة إلى الإصلاح ، يجذب القارئ المستمتع بسطوره ، وكأنه يقرأ عن كل زعيم قصة لا ترجمة ، لخص في هذا الكتاب حياة العالم الإسلامي في طور ارتقائه وصعوده ، وانحداره وهبوطه ، مبيناً دوافع الارتفاع والانخفاض ، وعوامل الهبوط الحالي ، وكأنه بما كتب عن عزة الماضي وعظمته ، يتلفظ بكلمات صريحة بأنّ أمر النهوض ليس بمستحيل ، فقد نهض الأجداد بدينهم ومبادئهم حتى أصبحوا سادة العالم .

ويوجه الأستاذ أحمد أمين اتجاه أبناء الأمة إلى نضال هؤلاء فقال عن هؤلاء الأبطال :

" كل قد أبلى بلاءً حسناً ، ولاقي من العنا ما لا يتحمله إلاّ أولو العزم فمنهم من شرد ، ومنهم من قُتل ، ومنهم من رُمي بالخيانة العظمى ، حتى تتحقق إصلاحهم ، وتقدم الشرق على أيديهم خطواتٍ تستحق الإعجاب " .

يتضمن هذا الكتاب سيرة بعض المصلحين البارزين والمحدثين

البارعين في العالم العربي والإسلامي في العصر الحديث وهم :

محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ - ١٧٠٣ م)

كمصلح ديني عاش في الجزيرة العربية وقد قام بتجديد عقدي امتد أثره لمناطق كثيرة في العالم الإسلامي .

مدحت باشا (١٢٣٨ - ١٢٣١ هـ / ١٨٢٢ - ١٨٢٦ م) وهو مصلح اجتماعي عاش في استانبول وقد عاصر أربعة سلاطين عثمانيين ، يرى إصلاح الشعب من طريق الحكومة فيقول : " إن الحكومة راع وإذا صلح الراعي صلحت الرعية والغاية فإذا وضع ونفذ فالخير كل الخير للأمة " .

السيد جمال الدين الأفغاني (١٢٥٣ - ١٢٤١ هـ / ١٨٩٧ - ١٨٣٩ م)

وهو المصلح الذي اهتم بإصلاح العقول والنفوس أولاً ثم إصلاح الحكومات ، وهو يرى إصلاح الحكومة عن طريق إصلاح الشعب فيقول : " إن القوة النيابية لأي أمة كانت لا يمكن أن تجوز المعنى الحقيقي إلا إذا كانت من الأمة نفسها وأي مجلس نيابي يأمر بتشكيله أمير أو أمراً أو قوة أجنبية محركة لها ، فاعلموا أن حياة تلك القوة النيابية الموهومة موقوفة من أحدهما " .

السيد أحمد خان (١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ / ١٨٩٨ - ١٨١٧ م) هو في الهند مثل محمد عبده في مصر ، مصلح يركز على إصلاح العقول بالتنقيف والتهذيب والنظر إلى الدين نظرة سماحة ويسر ، والاستقلال سيأتي تبعاً لذلك ، فلا استقلال لجاهل ولا محرف وإنما العلم هو طريق الاستقلال .

السيد أمير علي هو مصلح عملي هندي من جنس السيد أحمد خان وإن كان يؤكد على ضرورة التربية والتعليم ، لكنه هو أكد على ضرورة العلاج السياسي للمسلمين في الهند وقد وافقه السيد أحمد في ذلك في آخره حياته ، ويمتاز بثقافة غربية وشرقية واسعة فهو يجيد العربية والفارسية كما يقرأ الأدب الإنجليزي .

خير الدين باشا التونسي (١٢٢٥ - ١٣٠٧ هـ / ١٨١٠ - ١٨٧٩ م) شركسي الأصل باعوه في استانبول وبيع لأحد بابات تونس ، متدينًا ومثقفاً وعسكرياً ، تولى الوزارة في تونس وعزل منها وألف كتابه "أقوام المسالك في معرفة الممالك" ، يركز على أهمية مناسبة المنتجات الحضارية للثقافة الاجتماعية للمجتمع ، بعد تقلبات كبيرة مربها استدعي إلى الأستانة وعين وزيراً للدولة وعزل منها بعد فترة ومات هناك .

وعلي باشا مبارك (١٢٣٩ - ١٣١١ هـ / ١٨٢٣ - ١٨٩٣ م) ولد بقرية في الريف المصري لأسرة مستورة الحال ما ثبت أن أصبحت أسرة فقيرة بسبب الفساد السائد في ذلك الزمان ، تغيرت حياته بعد رؤيته لعبد أسد في منصب قيادي وحين سأله عن السبب قيل له إنه تخرج من مدرسة قصر العيني فقرر دخولها وواصل تعليمه في فرنسا في عهد محمد على باشا وقد ساهم عند عودته في تطوير التعليم غير أن أعظم ما قام به على مبارك ولا يزال أثره باقياً حتى الآن ، هو انشاؤه "دارالعلوم" ذلك المعهد الذي لا يزال يمد المدارس بصفوة معلمي اللغة العربية كما أصدر مجلة "روضة المدارس" لا حياء الآداب العربية ، ونشر المعارف الحديثة .

عبد الله نديم (١٢٦١ - ١٣١٣ هـ / ١٨٤٥ - ١٨٩٦ م) الكاتب الثائر والأديب المبدع خطيب الثورة العربية الذي ألهم حماسة الجماهير بكلماته من أسرة متواضعة جداً ، ظهرت عليه ملامح الذكاء في مرحلة

مبكرة وأحب الأدب واهتم به ويرع فيه وقد فطن إلى أن التعليم والنقد عن طريق القصص أجدب للنفس وأفضل في النقد ، فأكثر منه بل كاد يلزمـه وكانت عظمته في ذكائه وقوـة لسانـه .

– السيد عبد الرحمن الكواكبي (١٢٦٥ - ١٨٤٨ هـ / ١٣٠٢ م)

من بيت حلبـي يعتبرـ بنسبـه وحسبـه وعلـمه وجـاهـه لم يكتـف بالـمـعـلـومـاتـ الـمـدـرـسـيـةـ ، فقد اتسـعـتـ آفاقـهـ أـيـضاـ بالـاطـلاـعـ عـلـىـ كـنـوزـ الـمـكـتبـةـ الـكـواـكـبـيـةـ الـتـيـ تـحـتـويـ مـخـطـوـطـاتـ قـدـيمـةـ وـحـدـيـثـةـ .

– والـشـخـصـيـةـ الـأـخـيـرـةـ فـيـ الـكـتـابـ هوـ الشـيـخـ مـحـمـدـ عـبـدـهـ (١٢٦٦ - ١٨٤٩ هـ / ١٣٢٣ م)

زادـتـ قـوـةـ أـثـرـهـ أـنـهـ لمـ يـكـنـ يـدـعـوـ إـلـىـ الإـصـلـاحـ نـظـرـيـاـ عـنـ طـرـيقـ التـأـلـيفـ وـالـخـطـبـ وـالـمـقـالـاتـ فـقـطـ ، بلـ كـانـ يـحـاـولـ دـائـماـ أـنـ يـحـولـ إـصـلـاحـهـ إـلـىـ عـمـلـ ، وـيـنـفـسـ فـيـ الـحـيـاةـ الـوـاقـعـيـةـ ليـتـمـكـنـ مـنـ تـفـيـذـ بـرـامـجـهـ الـإـصـلـاحـيـةـ .

ويـخـتـمـ الـكـتـابـ بـخـاتـمـةـ جـمـيلـةـ مـنـهـ ، وـمـاـ زـادـ الـأـمـرـ صـعـوبـةـ فـيـ تـطـيـقـ ظـواـهـرـ الـمـدـنـيـةـ الـغـرـبـيـةـ فـيـ الـشـرـقـ ، أـنـهـ نـشـأـتـ بـالـتـدـريـجـ فـيـ الـغـرـبـ ، وـاتـصلـتـ كـلـ الـاتـصالـ بـتـارـيخـهـ وـأـحـدـاثـهـ وـبـيـئـتـهـ الـطـبـيـعـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ ، ثـمـ جـاءـتـ إـلـىـ الـشـرـقـ دـفـعـةـ وـاحـدـةـ مـنـ غـيـرـ تـمـهـيدـ ، وـدـخـلـتـ عـلـىـ عـادـاتـ وـتـقـالـيدـ وـمـوـضـوعـاتـ مـورـوثـةـ تـخـالـفـهـاـ كـلـ الـمـخـالـفـةـ ، فـكـانـتـ الـمـنـازـعـاتـ شـدـيـدـةـ وـالـصـدـمـةـ قـوـيـةـ وـفـيـ الـمـدـنـيـةـ الـغـرـبـيـةـ فـلـاـ يـتـقـقـ مـعـ مـزـاجـ الـشـرـقـ وـأـخـلـاقـهـ وـفـيـهـاـ مـاـ هـوـ ضـارـ وـمـاـ هـوـ نـافـعـ وـتـصـفـيـةـ ذـلـكـ كـلـهـ أـمـرـ عـسـيـرـ يـدـعـوـ إـلـىـ طـولـ التـفـكـيرـ .

إنـ الشـخـصـيـاتـ الـتـيـ تـعـرـيـضـ لـهـ الـكـتـابـ إنـمـاـ هـيـ لـمـنـ الشـخـصـيـاتـ الـتـيـ اـخـتـلـفـ النـاسـ حـولـهـ كـثـيرـاـ مـاـ بـيـنـ مـادـحـ وـقـادـحـ ، وـهـذـاـ الـكـتـابـ يـقـدـمـ كـثـيرـاـ مـنـ الـحـقـائقـ وـالـأـحـدـاثـ بـعـيـنـ الـبـرـضاـ ، وـرـبـيـماـ نـجـدـ كـاتـبـاـ آخـرـ يـذـكـرـ غـيـرـ ذـلـكـ وـهـذـاـ أـمـرـ طـبـيـعـيـ وـمـتـوـقـعـ ، وـهـوـ كـتـابـ جـديـرـ بـالـذـيـعـ الدـائـمـ لـأـنـهـ يـصـوـرـ الـنـهـضـةـ الـإـصـلـاحـيـةـ فـيـ هـذـاـ الـعـصـرـ بـقـلـمـ مـخلـصـ دـقـيقـ .

كتاب الأخلاق :

إنـ هـذـاـ الـكـتـابـ كـتـابـ مـهـمـ فـيـ الـأـخـلـاقـ هـدـفـهـ إـرـشـادـ النـاسـ فـيـ حـيـاتـهـمـ وـأـنـ يـبـيـنـ لـهـمـ أـهـمـ نـظـريـاتـ الـعـلـمـ وـأـنـ يـوـسـعـ نـظـرـهـمـ فـيـمـاـ يـعـرـضـ

عليهم من الأعمال اليومية وبعدهم للتوسيع في علم النفس والأخلاق والاجتماع ، هذا وقد راعى فيه الجهة العلمية أكثر مما راعى الجهة النظرية وفضل مراعاة المعنى على مراعاة اللفظ ، فلم يعمد إلى تزويق اللفظ ، كما عمد إلى إيضاح المعنى ليكون سهل التناول .

وقد جاء الكتاب في ثلاثة أقسام : القسم الأول في موضوعات نفسية لا بد منها للأخلاق ، وفي القسم الثاني ذكر أهم نظريات علم الأخلاق وتاريخه ، وفي القسم الثالث ذكر المسائل العملية التي تعرض للإنسان في حياته ، هذا مع اقتصار ما يناسب الطلب ويليق به .

ولعله أول كتاب في اللغة العربية من نوعه ، من حيث موضوعاته ونمطه ، على حاجتنا الشديدة إلى كثير من الكتب في هذا الموضوع الذي عنى به الأمم الحية فألفت فيه الكتب العديدة مطولة ومختصرة ، تناسب كل طبقة في درجاتها العقلية المختلفة .

مبادئ الفلسفة :

كتاب يوضح مبادئ الفلسفة ، ويدرك أن علوم النفس والمنطق والجمال والأخلاق والاجتماع ، وهي العلوم التي يقبل عليها القراء ، ما هي إلا مجرد فروع من أصل واحد وهو علم الفلسفة ، ثم يمضي الأستاذ أحمد أمين في توضيح معنى وجمال بحث كل علم من علوم الفلسفة بشكل قريب إلى الأذهان مما يجعل هذا الكتاب ، بالرغم من صغر حجمه ، مقدمة فعلية لكل طالب وباحث في مختلف العلوم المذكورة ، وفي آخره معجم لأشهر الفلاسفة الذين ورد ذكرهم في الكتاب .

الصلعكة والفتوة في الإسلام :

يبين الأستاذ أحمد أمين في هذا الكتاب معنى " الفتوة " وأن لها نظاماً خاصاً وأن للفتيان في كل بلد مكاناً يجتمعون فيه ، ثم يبين أن العرب في الجاهلية استعملوا كلمة " الفتوة " استعمالات مختلفة وأن الصوفيين وضعوا في كتبهم باباً للفتواة أبانوا فيه معناها وغير ذلك مما يتعلق بالموضوع ، وصعاليك العرب في مرتبة سامية ومكانة مرموقة عند الأستاذ أحمد أمين ، فقد تحدث عنهم حديث العجب في مقالاته بفيض

الخاطر ، وخص منهم "عروة بن الورد" بمقال جيد نشره في الجزء الخامس من "فيض الخاطر" .

هارون الرشيد :

هذا كتاب موجز نشرته دار الهلال في سلسلة "كتاب الهلال" وقد طلبت الدار من الأستاذ أحمد أمين أن يكتب عن "هارون الرشيد" فاغتنم بذلك وعلل لبهجته وسروره بقوله :

"إني أحبه ، وربما كان سبب حبي له أنه رجل عاطفي ذواق ، يخضع للمؤثرات الوقتية ، فيصلني مائة ركعة كل يوم ، ويحج ماشياً ، ويهيم من ناحية أخرى بالجمال والفناء ، ويحدثه أبو العناية حديث الرزد فيبكي حتى يخضل لحيته ، ويقول له ابن مريم نكتة فيضحك حتى يستلقي عصاه".^١

وإن هذا الكتاب الموجز يشتمل على ذكر ميلاد الدولة العباسية والنظام الاجتماعي في هذا العصر و بغداد عروس الأقطار الإسلامية وذكر الأستاذ أحمد أمين فيه عن الأدب والأدباء في عهد هارون الرشيد ، وعن مأساة البرامكة وغيرها .

المهدي والمهدوية :

كتاب يتناول فيه الأستاذ أحمد أمين فكرة المهدي والمهدوية حيث ناقش هذه الفكرة وعرفها وتناول تطورها عند الفاطميين والموحدين والقرامطة والحساشين وثورة اليهودي والبابية وغيرها ، وتناول كثيراً من الأحداث المتعلقة بفكرة المهدوية .

أما كتبه الأخرى بالاشتراك نقدم فيما يلي :

١. قصة الفلسفة اليونانية (مع الدكتور زكي نجيب محمود) .
٢. قصة الفلسفة الحديثة (مع الدكتور زكي نجيب محمود) .
٣. قصص الأدب في العالم ، في أربعة أجزاء (مع الدكتور زكي نجيب محمود) .
٤. المفصل في تاريخ الأدب العربي (مع أحمد الاسكندرى ، على

^١ مقدمة الكتاب ، ص ٥ .

- الجارم ، عبد العزيز البشري وأحمد ضيف) .
 وهناك بعض الكتب اشتراك الأستاذ أحمد أمين في تحقيقها وهي :
 ١ " الإمتاع والمؤانسة " كان المحققان لهذا الكتاب (أحمدان) أي سارع
 إلى تحقيق هذا الكتاب (مع صديقه الأستاذ أحمد الزين) .
 ٢ " شرح ديوان الحماسة " لأبي على المزوقي ، اشتراك في إخراجه (مع
 الأستاذ المحقق عبد السلام هارون) .
 ٣ " العقد الفريد " لابن عبد ربه ، كان إقام الأستاذ أحمد أمين على
 نشر " العقد الفريد " وتحقيقه مصدر ارتياح كبير لدى الباحثين (مع
 زميليه أحمد الزين وإبراهيم الأنباري) .
 ٤ " الهوامل والشوامل " لأبي حيان التوحيدي ، ظهور هذا الكتاب
 بتحقيق دقيق ، اشتراك الأستاذ أحمد أمين في إخراجه مع الأستاذ
 السيد أحمد صقر وهو ذو قدم راسخة في التحقيق .
 ٥ " خريدة القصر وفريدة العصر " للعماد الأصفهاني كان شاعرًا
 ومؤرخاً وسياسيًا في العصر الأيوبي ، اشتراك الأستاذ أحمد أمين
 والدكتور شوقي ضيف والدكتور إحسان عباس في إخراج القسم
 المصري من هذا الكتاب ، حيث قام بعض الفضلاء بإخراج أقسام
 أخرى .

وفاة الأستاذ أحمد أمين :

وقد أصيب الأستاذ أحمد أمين قبل وفاته بمرض في عينه ثم بعلة
 في ساقه سببته قعوده في المنزل فكان لا يخرج من منزله إلا لضرورة
 قصوى ، كان أثناء ذلك لا ينقطع عن البحث والتأليف مهلياً ومستعيناً
 بغيره قارئاً وكاتباً ، حتى توفاه الله في ٢٧ من رمضان ١٣٧٣هـ / ٣٠ من
 مايو ١٩٥٤م في كاه الآلاف ممن يعرفون فضله ومقدراته .^١
 إنما لله وإنما إليه راجعون .

^١ أحمد أمين مؤرخ الفكر الإسلامي ، للدكتور محمد رجب البيومي ، ص ١٧ .

السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث وأنيس منصور

(في ضوء أدب الاعتراف)

الأخ وصي الله *
والدكتور محمد يوسف خان *

بداية القرن التاسع عشر الميلادي تعدّ بداية تاريخ الفكر العربي الحديث حيث ظهرت حركات التحرر على الساحة العربية ، وقد ظهرت - أول ما ظهرت - في مصر ، وكان على رأس هذه الحركات "الحركة الفكرية" التي دعا إليها ، رفاعة الطهطاوي (١٨٠٠ - ١٨٧٣ م) فكان أول مصري لفت الأنظار إلى ضرورة الخروج عما نحن فيه من جمود فكري وحضاري وتخلّف سياسي واجتماعي ، بدأ دعوته حين كتب كتابه الشهير " تخلص الإبريز في تلخيص باريز " ^١ الذي يمكن عده بداية جيدة للعودة إلى كتابة السيرة الذاتية في الأدب العربي .

وإذا ما انتقلنا إلى القرن العشرين فإننا سنطالع مجموعات كبيرة من الكتابات تتسم فيها ملامح الشخصية العربية ، وبالقاء نظره على الترجمات الذاتية التي برزت في القرن العشرين نجد أنها قد بدأت تعكس أزمة الإنسان من جهة ، ومن جهة أخرى تعكس أزمة الفكر العربي المعاصر ، وكل ذلك تبيّن لنا من خلال أحاديث الكتاب والأدباء عن حياتهم النفسية والثقافية والأدبية ، وعن جهادهم الفكري والحضاري ، وهنا نجد فن الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث أنه قد وصل إلى قمة تطوره ، فيضع الكثيرون من أدبائنا أيديهم على المفهوم الحديث لهذا الفن الأدبي فيكتبون أعمالاً أدبية ربما يعد كل منها ترجمة ذاتية فنية

* الباحث في قسم اللغة العربية وأدابها ، جامعة علي كره .

* الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية بجامعة علي كره .

^١ الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث لعبد الدايم يحيى ص ٤٦ .

تماثل في ملامحها معالم هذا الفن في الأدب الغربي^١ حتى إذا كان العصر الحديث رأينا الترجمة الشخصية عندنا تتطور تحت تأثير ما قرأ الأدباء والكتاب العرب للفربين من تراجم كاملة عن حياتهم ، وقد وصفوها فيها من جميع أطراها بعيوبها ومحاسنها ، بل لقد تحولوا بها إلى اعترافات صريحة بدون أي تحرير أو تصنّع ، وبذلك غدت الترجمة الشخصية عندهم ضرباً من الشخص الحي البديهي^٢ وبخاصة تلك التراجم الذاتية التي جاءت مصوّفة في قالب روائي فكان أكثر من كتبها منمن برعوا في الفن الروائي من أمثال ميخائيل نعيمة في مؤلفيه (مرداد) و (لقاء) وطه حسين في (الأيام) والمازني في كتابيه (إبراهيم الكاتب) و (إبراهيم الثاني) ، وربما كان كتاب الأيام لطه حسين هو النص التأسيسي الأول لكتابه السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ففيه يتحدث عن طفولته وشبابه ، ويعطي صورة متكاملة عن الظروف التي ساعدت في نشأته وأثرت في تكوين شخصيته ، كما أنه أبدع في تصوير المعاناة التي عاشها في بيئه تحيا في ظل الموروثات القديمة والخاطئة بدون أي تمويه وأعطانا صورة تامة^٣ .

وبعد ذلك توالي ظهور السير الذاتية في الأدب العربي الحديث مثل "سبعون" لميخائيل نعيمة و "أنا" للعقاد ، و "البئر الأولى" لجبرا إبراهيم جبرا ، و "زهرة العمر" لتوفيق الحكيم ، و "حياتي" لأحمد أمين و "قصة حياة" لإبراهيم عبد القادر المازني ، و "قال الراوي" للشاعر المجري الياس فرحات ، و "البقية في حياتي" و "في صالون العقاد" كانت لنا أيام "شارع التقهدات" و "إلا قليلاً" لأنيس منصور وغيرها من النماذج الأدبية لفن السيرة الذاتية^٤ ، فيمكن القول أن السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث إنْتَخذت ثلاثة أساليب كانت أدواتاً للتعبير عن أصحابها :

^١ نفس المصدر ص ٦٩ .

^٢ الترجمة الشخصية لشوقى ضيف ص ٦ .

^٣ السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث لمحمد الباردي ص ٦٩ .

^٤ أدب السيرة الذاتية لعبد العزيز شرف ص ٥٨ .

١. أسلوب تفسيري تحليلي : - يبدأ فيه الكاتب بداية تحليلية على نحو ما يُفعل بالمقالة البنية على أساس التحليل والتفسير ، ولم يكن الوارد منهم يعني بالبحث عن قالب فني يصوغ فيه ترجمته الذاتية ومثال ذلك ترجمة أحمد أمين في "حياتي" والعقاد في "أنا" .
٢. أسلوب تفسيري تصويري :- يجمع بين طريقة المقالة التفسيرية والتحليلية وطريقة الرواية الفنية القائم على تصوير المواقف والتجارب والمشاهدات ، فهو ليس أسلوباً روائياً خالصاً ولا أسلوب مقالة خالصة وإنما هو أسلوب جديد نشأ للتعبير عن الحياة الشخصية ويمثل هذا الأسلوب ميخائيل نعيمة في "سبعون" .
٣. أسلوب روائي:- هو الأسلوب الذي يختاره الكاتب المتمرس في معالجة الرواية ، وحينئذ عليه أن يمسك بعناصر الحقيقة دون أن يسترسل مع الخيال ، ويمثل هذا الأسلوب طه حسين في "الأيام" و محمد شكري في "الخبز الحافي" وأنيس منصور في "البقية في حياتي" و "إلا قليلاً" .

لذلك نرى أن أسلوب طه حسين الإعتراقي في "الأيام" يتمتع بنوع من الحرية أو قدر مستساغ من التفكك في الحدث العام أو في الشخصيات الرئيسية ، وكذلك نرى سيرة محمد شكري "الخبز الحافي" من أكثر السير الذاتية صدقًا وصراحة في الأدب العربي الحديث ، وكذلك تقدم الدكتور سمير سرحان نموذجاً جديداً لأدب الإعتراف في سيرته الذاتية "على مقهى الحياة" كما كتب ثروت أباظة سيرته في "ذكريات لامذكرات" وكذلك نرى أنيس منصور أن صلته بأدب الاعتراف هي وثيقة جداً ، لذلك نجد في أدب أنيس منصور صوراً نابضة بالحياة ، ذاخرة بالمعاني ، ونجد ذلك الأسلوب الممتع الممتع من خلال سيطرة على اللغة لا تتيسر إلا للعارفين بها والقادرين عليها ، فأشسم أسلوب أنيس منصور بحسن سلاسته وسهولته ونصاعته وتغير لفظه وجودة مطالعه ولبن مقاطعه . ولذلك نجد في أسلوب أنيس منصور هذه الميزات البلاغية التي

^١ الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث لعبد الدايم يحيى .

تجعلنا نقول قول القدماء "إن الكلام الجيد تقل صروراته بل تتعدم أصلاً، حتى لا يكون لها في الألفاظ أثر ، فتجد المنظم مثل المنشور في سهولة مطلعه وجودة مقطعه وحسن وصفه وتاليفه وكمال صوغه وتركيبه ، فإذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقة وبالتحفظ خليقاً^١ . وربما كانت هذه الأساليب والمعاني هي التي دفت بعميد الأدب العربي طه حسين إلى أن يقول عن أسلوب أنيس منصور في مقدمة الطبعة الثالثة لكتابه الشهير (حول العالم في ٢٠٠ يوم) " هذا كتاب ممتع حقاً فلا تقصص متعتك بل تزيد كلما تقدمت في قراءته ، وبما أنه من الكتب الطوال جداً ، فميزة الكبرى هي أن تقرأه لا تحتاج إلى راحة وإنما تؤدّي لو تستطيع أن تمضي فيه حتى تبلغ آخره في مجلس واحد ، لأنك تجد فيه المتعة والراحة والسلوى وإرضاء حاجتك إلى الاستطلاع ، فصاحب الكتاب حلو الروح ، خفيف الظل ، بعيد أشدّ البعد عن التكلف والتزيّد والإدلال لما يصل إليه من الغرائب^٢ .

فنـ السيرة الذاتية عند أنيس منصور نقرأ في "البقية في حياتي" وفي " صالون العقاد" وفي " شارع التهدّيات" وفي " إلا قليلاً" وفي " لأول مرة" وفي " طلع البدر علينا" فنـتعرّف على قدرة ذهنية فريدة على تركيب الأفكار الجديدة من خلال عناصر خبر كل منها على حدة ، إذ يقوم الكاتب بعملية خلق كليات جديدة من جزئيات مألوفة في حياته ، بهدف تحويل خبرته هو إلى خبرة إنسانية وسيرته الذاتية إلى سيرة إنسانية عامة ، ولذلك نرى في السيرة الذاتية عند أنيس منصور نموذجاً وظيفياً لما يمكن أن يسمى " بالمشاركة الوجданية المطلقة " وهي تعني في السيرة الذاتية وضع النفس ككلية في مكان إنسان آخر ، فنـحن نشارك الكاتب آلامه وأماله وأحساسه ونتقمص حياته بخيالنا ونعيشها كما لو كانت حياتنا. لذلك يمتاز أدب أنيس منصور بأنه يجمع بين خاصيتين متبادرتين هما: الخاصية الأولى أنه يفهم بعض الأشياء بعقله ، وفيها يبدو أنه لا

^١ أدب السيرة الذاتية لعبد العزيز شرف ص ٨١.

^٢ حول العالم في ٢٠٠ يوم : لأنيس منصور ص ٢٥.

^٣ أدب السيرة الذاتية لعبد العزيز شرف ص ٨٢.

يستطيع أن ييدع شيئاً بعاطفته ، ولعل ذلك يعود إلى دراسته الفلسفية وما تفرضه عليه من تحكيم العقل والموضوعية والتجرد ، والخاصية الثانية يبدو فيها أدبه متنسماً بحرارة القلب وخصوصية التخيّل وبعد التصور واتساع مدى الحب الإنساني ، ولعل ذلك يرجع إلى ثقافته الأدبية الإنسانية وخوضه غمار الحياة والمجتمع ورحلاته المتعددة في مختلف بقاع العالم ، وما استتبع من تجارب خصبة مرت به في الحب والملوء والتعاطف الإنساني وما صادفه من نماذج إنسانية مختلفة في تلك الرحلات المثيرة^١ .

كما نرى أدبه الوجданى الذي تمثل في سيرته الذاتية اتّسم في مجموعه بالصدق وقدرته الفائقة على التوفيق بين عواطفه المختلطة وبين إرادة عقله الصارم ، فنجد أن أدبه في نهاية الأمر يضم خلاصة تجاربه و بواسطته آماله وأفراحه وألمه ، فجمع أنيس منصور في أدبه عقلانية "العقاد" وإنسانية "المازني" بين صرامة "نيتشه" وسلامة "جوتة" فجاء هذا المزيج الغريب من الأدب الوجدانى المطعم بالقليل من التوابع الفلسفية والعقلية ، كذلك الأمر في خواطره وسيرته الذاتية التي يعكس فيها خفقات قلبه وهمسات روحه ، وما يضطرم في نفسه من مشاعر وهواجس وأحساسات تجلّد لنا أفكاره ونظراته في الحياة والمجتمع والفن والواقع والخيال ، وقد اتّسمت هذه الخواطر بالحرارة والصدق^٢ . ففي سيرة أنيس منصور الذاتية نرى أنه يقدم لنا رحلة باطنية في أعماقه ، فهو في حالة ارتحال بين الأفكار وال العلاقات والناس والتاريخ ، وأمّتن رحلاته بحق تلك التي في النفس الإنسانية ، هذه الرحلة في أعماقه هو ، حيث يقدم لقارئه صورة صادقة لحياته الفردية والاجتماعية ، ففي جميع الكتب لأنيس منصور المتعلقة بسيرته الذاتية نطالع صفحة مشرقة من صفحات الأدب الاعتراضي ، حينما ينبع من "الداخل" متوجهًا نحو الخارج ، على عكس الاتجاه الذي يمشي فيه أدب الترجم (الغيري) ولذلك نجد صفحات اعترافية تسجيّل حوادث من حياة الكاتب وأخباره وأعماله وآثاره ، وأيام

^١ سند باد العصر : أنيس منصور لمحمد رضوان ص ١٢٩٠ .

^٢ نفس المصدر ، ص ١٣١ .

طفولته وشبابه وما جرى له فيها من أحداث ، مضيفاً بذلك إلى رصيد الأدب الاعترافي ما يجعله هنا راسخاً في الأدب الحديث ، على ذلك يمكن لنا القول إن الأدب الاعترافي في سيرة أنيس منصور يتضمن أبعاد الإنسان الثلاثة ، الداخل والخارج والفوق^١ .

ومن وظائف السيرة الذاتية وظيفة "المراقبة الاجتماعية" فليست السيرة حكماً تعليمية ، ولكنها تكشف من خلال الإعتراف عن نقد قيمي اجتماعياً وثقافياً ، كما تقول "باترسون" في مقدمة كتابها عن المقال الصحفي "إن قراءة المذكرات واليوميات مفضلة لأنها تدور حول قصص وأحداث تعتبر أقرب إلى الواقع منها إلى شيئ آخر ، وقد يعترف الكاتب بأخطائه وإخفاقه في بعض مراحل حياته ، ولكنّه يطلّ لهذا الإخفاق ، فيكون الضعف البشري موضوعاً للمعالجة الفنية ، ومن ثم كان المقال الإعترافي من أكثر ألوان المقالات الذاتية ملائمة للصحافة ، وذلك أن كاتب هذا النوع المقالي كثيراً ما يكون شخصاً غير عادي في نظر القاريء^٢ ، فهذا من ميزة أنيس منصور أنه لم يخف عن شيئاً من هواجس نفسه وهمسات روحه بل أودع ما كتبه نوازع وجданه ، وكل معاناته يصور لنا بصدق وصراحة كل ما يجول بخاطره ووجданه من مشاعر وإنفعالات مفرحة أو محزنة ، ويصور لنا خلجان نفسه وهمسات روحه من خلال استبطان ذاته ليجيب لنا عن سؤال حيوى طالما سأله لنفسه "من أنا"^٣ فتكون إجابته خواطر ذاتية تكشف لنا عن ملامح نفسيته وأبعاده الفكرية والوجدانية ، وفلسفته في الحياة والحب ، فيقول: "لا توجد عندي وسيلة للمعرفة سوى نفسي وسيلي إلى معرفة العلاقات الإنسانية هو أنا . فإن أنيس منصور لم يكتف فقط بتسجيل أفكاره وهواجسه وإنفعالاته ، بل سطر لنا تجاريته في الحياة والحب ، فروي لنا تجربته مع

^١ أدب السيرة الذاتية لعبد العزيز شرف ص ٨٧ .
^٢ نفس المصدر ، ص ٧٢ .

الفقر والألم والمرارة في طفولته وصباه ، روى لنا تجربته مع الحرمان وعدم الإستقرار في طفولته المبكرة ومعاناة أبيه ذلك الإنسان الطيب نقى الضمير الذي صادفه المتاعب بسبب إصراره على أن يكون صريحاً وصادقاً وشريفاً ، ومعاناة أمه بسبب التشتت وألوان الهوان ، وصبرها على احتمال الألم في صبر وإيمان ، روى لنا في صدق تجربته مع الخوف والفزع في طفولته من تلك الصور القاسية المفزعه^١ .

فكل كتابات أنيس منصور المتعلقة بسيرته الذاتية يمكن أن تدخل في باب "الاعترافات" فهو يقول : "الفن .. ليس إلا نوعاً من الاعتراف ، فإذا ما نشر الفنان اعترافاته وهو حيّ كان معنى ذلك أنه لا يخشى أن يصريح الناس" إن أدب الاعترافات صورة من تعرية النفس ، وأكثر من قام بتعرية نفسه أدباء وعباقرة الغرب ، منهم "جان جاك روسو" و "بلزاك" و "سيمون دي بووفوار" ^٢ .

إن من أروع ما كتبه أنيس منصور في أدب السيرة الذاتية ما كتبه عن ذكريات طفولته وصباه في أعماق الريف ، وألوان العذاب والفقير والهوان الذي عاناه في رحلته في بحر المعرفة . إنك حين تقرأ هذه الصفحات المكتوبة في أدب السيرة الذاتية تشعر في كل سطر فيها بحرارة الصدق والأمانة والصراحة ، في الكشف عن خلجان نفسه وهمسات روحه ونبضات قلبه ، وما يرويه عن ذكرياته الحزينة والمفرحة بلا مواربة أو لفة ودوران ، بل تلمس في كل سطر الصدق والحرارة والأمانة ^٣ .

لقد روى لنا أنيس منصور بأسلوبه الجميل الرائع عشرات التجارب الحياتية والوجودانية والفكرية التي عانها ومرّ بها ، روى لنا تجربته مع الفلسفة الوجودية وتجربته مع القرآن الكريم وتجربته في العج "طلع البدر علينا" وتجربته مع الفقر والحرمان والخوف والفزع ، وتجربته مع المرأة والحب ، وعشرات التجارب الثرية الخصبة التي تفصح عن صراحة

^١ سند باد العصر ، أنيس منصور لـ محمد رضوان ص ١٣٤ .

^٢ أنيس منصور مفكراً و فيلسوفاً للوسي يعقوب ص ٥٤ .

^٣ سند باد العصر ، أنيس منصور لـ محمد رضوان ص ١٣٤ .

أديبنا ووضوحيه ، مما جعل أدبه يتسم بسمة أساسية تكتب له البقاء والذئع هي "الصدق الفني" .

هذه هي العظمة ... وتلك هي غاية الأدب الحقيقي في كل العصور والأزمان ، إننا نجد إذا كنّاقرأنا ألواناً من أدب الترجم المذاتي في أدبنا العربي المعاصر مثل "الأيام" لطه حسين ، و "أنا" للعقاد و "سجن العمر" لتوفيق الحكيم ، و "حياتي لأحمد أمين ، و "هموم الشباب" لعبد الرحمن بدوي ، و "الاعترافات" لعبد الرحمن شكري ، و "سبعون" لميخائيل نعيمة ، و "مذكراتي" لعبد الرحمن الرافعي ، فضلا على الكتابات المتفرقة للدكتور زكي مبارك ، وأحمد حسن زيارات والدكتور محمد حسين هيكل ، والتي سجلوا فيها ذكريات المراة والفقير ، وأرائهم في الحياة والناس ، كما ضمت أبرز أحداث حياتهم ، ورسمت صورة البيئة الأولى ، وتحولاتهم الثقافية والإجتماعية والفكرية ، من اتجاه إلى اتجاه ومن وضع إلى وضع .

وإذا كان لكل كاتب من هؤلاء في اعترافاته ومذكراته طابعه الخاص به ، كطه حسين ، الذي سجّل ذكرياته بأسلوبه الاستعراضي ، وأحمد أمين ، بأسلوبه العلمي المتأدب ، فإنّ أنيس منصور سجّل ترجمته الذاتية بأسلوب تحليلي إنساني مؤثر ، فقد صرّح أنيس منصور لنا تجاريه وأفكاره وأراءه وفلسفته في الحياة بأسلوب غاية في الصدق والصراحة والوضوح ، فأنيس منصور يريد أن يكشف للقارئ كل خفايا نفسه وحتى خبايا أمراضه وخوفه من المرض ، ففي كتابه الآخر "وحدي مع الآخرين" الذي نشر في مارس ١٩٦٦ يسجل اعترافاته ، وكذلك في كتابه "يسقط الحائط الرابع" يتحدث أنيس منصور عن أدب الاعتراف ^١ وهكذا يتجلّى لنا ذلك في كتابه التحليلي الإسقاطي الممتع ^٢ في صالون العقاد كانت لنا أيام وهي سيرته الذاتية في ضوء معرفته وذكرياته عن العقاد ^٣ .



^١ أنيس منصور مفكراً وفيلسوفاً ، للوسي يعقوب ص ٥٦ .

^٢ سندباد العصر ، أنيس منصور لمحمد رضوان ص ١٥٠ - ١٥٢ .

تطور كتب السيرة النبوية في مصر

بعلم : الباحث محمد رضا الحق *

الترجم والسير هي نوع من الأنواع الأدبية التي تناولت التعريف بحياة رجل أو أكثر ، تعريفاً يقصر أو يطول ، ويتعمق أو يبدو على السطح تبعاً لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة ، وتبعاً لثقافة كاتب الترجمة ومدى قدرته على رسم صورة واضحة ودقيقة ، من مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم له^١ . وهكذا يتبيّن تعريف الترجمة : أمّا الترجمة فهو فن نشري يتناول تعريف الحياة بأحد الأعلام في مجال العلم أو السياسة أو الأدب ، ويبين فيها نسب المترجم له ومولده وطفولته وتعليمه وأهم مأثره وعوامل نبوغه وموافقه وظروف انتقاله ، وقد يسلط الضوء على بيئته السياسية والفكريّة والاجتماعية ليتبين مدى تفاعله معها ، ويوضح تعريف السيرة هكذا هي ترجمة مطولة تختلف عن الترجمة من حيث الطول واستيفائها جميع جوانب حياة صاحب السيرة ، ويمكن أن تعرض السيرة في أكثر من جزء واحد ، مثلًا سيرة النبي لابن هشام . وهناك انقسام لترجمة وسيرة إلى نوعين : الأول السيرة الذاتية ، وهي تعرف بحياة الكاتب نفسه . والثاني : السيرة الموضوعية وهي تعرف بأحد الأعلام ، وكما نعرف أن تطور فن السير والترجم قديم في الأدب العربي . وعني المسلمين والعرب بكتابة ترجم مشاهير الرجال عناء بالغة ، واحتقوا بوضع السير المطولة حتى بلغت بهم العناية بذلك أن ألفوا كتبًا في تاريخ البلدان لتطورها ونشأتها وعمرانها ويسيقون لذلك البلد الذين من ولدوا فيها أو نشأوا فيها أو وفدا إليها . . . وقد فاقت الترجم العربية القديمة من حيث كثرتها وضبط أسمائها وتحقيق أنسابها وذكر مصادر أخبار غيرها من الترجم في الأداب

* جامعة جواهر لال نهرو، دلهي الجديدة

^١ محمد عبد الغني حسن : الترجم والسير ، ص ٩

الأجنبية حديثاً وقديناً . ولقد كانت سيرة الرسول صلى الله عليه السلام أولي السير باهتمام الكتاب والمورخين ، لذلك عكفوا عليها يتقسون أخبارها ويدونون أحداثها لما فيها من القدوة الحسنة للمسلمين ، فمنهم من يفيض في الحديث عن غزواته ، ومنهم من يعرض لشمائله ، ومنهم من يجعل من سيرته محوراً تدور حوله أحداث التاريخ الإسلامي ، وأشهر سير النبي القديمة سيرة ابن هشام المتوفى سنة ٢١٣ من الهجرة (٨٢٨م) وهكذا سيرة ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ من الهجرة (٨٤٤ من الميلاد) . وعندما نتطرق عن السير نجد أن كتب السير لم يقتصر على سيرة النبي عليه السلام فقط ، بل ألف أحمد بن يوسف بن الداية في القرن الثالث الهجري باسم سيرة أحمد بن طولون ، وهكذا صنف أبوالنصر الكتبى سيرة السلطان محمود الفزنوى في مطلع القرن الخامس ، ووضع ابن الجوزي سيرة عدة علماء أمثال عمر بن عبد العزيز وعمر بن الخطاب وأحمد بن حنبل . وقد ترجم بعض الكتاب للشعراء والأدباء لغaiات علمية وأدبية ، حيث ألف ابن قتيبة كتاب "الشعر والشعراء" وترجم فيه ملائين وستة شعراء ، كما ألف ابن سلام "طبقات فحول الشعراء" الذي يعد من أهم المصنفات في تراجم الشعراء .

أهم كتب السيرة النبوية في مصر:

إن السيرة النبوية المطهرة هي من الموضوعات التي ما زالت ولا تزال مطمح الأنظار للكتاب الإسلاميين والباحثين والعلماء في كل أنحاء العالم في جميع العصور . وقد ألفت حول موضوع السيرة النبوية صلى الله عليه وسلم آلاف من الكتب ، لا في اللغة العربية فقط ، بل في جميع اللغات العالمية القومية وال محلية التي ينطق بها المسلمون في العالم حتى المستشرقين والكتاب الغربيين نالوا سمعة بعد تأليفاتهم على موضوع السيرة النبوية عليه السلام . وهذه حقيقة ثابتة بأن ما ولد رجل في التاريخ الإنساني من البدأ ولا يولد إلى الأبد ما يكون أكمل وأعظم وأشرف ومتصفاً بجميع الأوصاف الإنسانية النبيلة والصفات الخلقية والخلقية من النبي صلى الله عليه وسلم . فألفت الكتب على موضوع السيرة النبوية باللغة العربية في القرن العشرين ، فمنها ما كانت تربوية ومنها ما كانت

سردية ومنها علمية و تاريخية تقع في مجلدات ضخمة تقدم أمامنا جميع وقائع لحياة النبي عليه السلام صغيرة كانت أو كبيرة وصفاته الخلقية والخلقية بأكمل صورتها ، كما ت تعرض غزواته و سراياه وتشمل رسائله وكتاباته و تلقي الضوء على تفاصيل الظروف الاجتماعية والسياسية التي عاش فيها عليه السلام .

يقول الدكتور محمد نجم الحق الندوى عن السيرة النبوية :

" إن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم العطرة ، سجل حافل بالتأثير مليئ بالكرمات ، مفعم بالفضائل ، إنها كنز المعاشر وال عبر وترشد إلى الخير ، وتسوّق الهم ، وتشجذ العزائم ، وتزركي الإيمان ، وترسم الطريق إلى مرضاه الله ، وتضع المعالم أمام الدعاة والمصلحين ، وتجسم القيم العليا والمبادئ الرفيعة في شخص النبي صلى الله عليه وسلم واقعاً محسوساً وحياةً كريمةً فاضلةً سار على هديها الأجيال وإن اتبعهم بإحسان ، فاستقرت العقول وصلحت القلوب ، وزكّت النفوس ، واستقامت الأخلاق ، وكانوا بحق خيراً مأة أخرجت للناس " .^١

ولا شك أن المسلمين والعرب قد عنوا أشد العناية بترجمات رجالهم وطبقات علمائهم أثروا ذلك الفن وتقنعوا في التبويب والترتيب حتى بلغت بهم العناية في ذلك أن ألفوا كتاباً في تواريخ البلدان في نشوئها وتطورها وعمرانها وفتحها وآثارها ، ثم يفيضون بعد ذلك في الترجمات لأهل هذا البلد ، كما نجد مؤلفات كثيرة وقيمة مثلًا تاريحاً ببغداد للخطيب البغدادي وتاريخ دمشق لابن عساكر وذيل تاريخ بغداد لابن النجاشي ، هي من أوسع الكتب في الترجمات الإسلامية والتقت فيها صورة رائعة من المجتمع الإسلامي الذي كان هولاء الرجال المترجم لهم يروحون فيه ويفدون ينتشرون علماً ويعثرون حضارة ويسطرون في الأفكار والأراء .

وكما نحن نعرف عن بداية الكتابة في جمهورية مصر العربية في سيرة الرسول في العصر الحديث ، فنجد الأستاذ الصحفي رفاعة رافع

^١ مقال الدكتور نجم الحق في كتاب " أدب السيرة النبوية العربي في العصر الحديث " لـ كفيل أحمد القاسمي ، ص ١٠ .

الطهطاوي الذي كتب "نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز" ورد الطهطاوي في كتابه على افتراءات الغرب على السيرة النبوية عليه السلام واستخدم المنهج العقلي والاجتماعي الملائمة بين العقل والقلب.

هكذا لم تنته هذه السلسلة حتى جاء الأستاذ الشيخ محمد الخضري ، وكتب "نور اليقين في سيرة سيد المرسلين الذي ظهرت أولى طبعاته سنة ١٨٩٥ م ، ثم توالت بعده وألف كثير من الكتاب المصريين عن حياة النبي عليه السلام وعن حياة الخلفاء رضي الله عنهم ، كما نجد الكتب منذ العقد الثالث من القرن العشرين إلى آخر العقد الرابع منه كتب السيرة النبوية مثل "محمد المثل الكامل" لمحمد أحمد جاد المولى ، سنة ١٩٣١ م ، وهكذا "على هامش السيرة" للدكتور طه حسين سنة ١٩٣٣ م ، وكتاب "محمد رسول الله" لمحمد رضا سنة ١٩٣٥ م ، والكتاب العظيم على السيرة النبوية "حياة محمد" لعباس محمود العقاد في سنة ١٩٤٢ م ، هكذا كتب كثيرة من الكتاب المصريين عن السيرة النبوية عليه السلام في مؤلفاتهم القيمة ، منهم محمد جميل وأحمد أمين وعلى عبد الجليل راضي وشوكت التونسي ومحمد عبد المنعم خفاجي ومحمد عزه دروزه وعبد العزيز خير الدين ومولانا محمد على وعبد الحميد جودة السحار وعبد الرحمن الشرقاوي وغيرهم .

نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز :

وُنشر هذا الكتاب (نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز) من دار الذخائر القاهرة بمصر بالطبعة الأولى ١٩٩٨ م ، ويشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة أبواب ، فالباب الأول مشتمل على بيان عن مولد النبي الكريم إلى بعثته صلى الله عليه وسلم ، والباب الثاني يحتوي على مبعثه صلى الله عليه وسلم ، ودعوته الناس إلى الدين الحق . وهجرة المسلمين إلى الحبشة ، وخروجه إلى الطائف ، ثم بين الأستاذ رفاعة رافع الطهطاوي ، الباب الثالث ذكر فيه هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وما ترتب على ذلك من المظاهر الإسلامية والظواهر التعليمية . وفيه فصول مختلفة . والباب الرابع ، ففيه بيان عن تفاصيل الظواهر التي

حدثت بعد هجرته عليه الصلاة والسلام حتى وفاته صلى الله عليه وسلم ، وفيه فصول أخرى أيضاً . وهكذا يشتمل الباب الأخير على بيان وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخلاقه وصفاته ، ومعجزاته ، وأزواجه ، وأعمامه ، وعماته ، وأخواله ، ومواليه وخدمه ، وحشمه صلى الله عليه وسلم ، وفيه فصول أيضاً .

"نور اليقين في سيرة سيد المرسلين" للشيخ محمد الخضري :

ألف هذا الكتاب الشيخ محمد الخضري ، وأسمه الكامل محمد بن عفيفي الباجوري ، هذا الكتاب طُبع من دار الفتحاء بدمشق بالطبعة الثانية في ٢٠٠٤م ، ويبحث المؤلف فيه سيرة النبي الكريم عليه السلام العطرة من أيام الولادة إلى وفاته وما بينهما من نشأة وبعثة ومحنة وإسراء وتعذيب وطلب نصرة ومواثيق وهجرة وغزوات وعهود وغير ذلك من الأمور التي تتعلق بسيرة النبي عليه السلام . ويشتمل الكتاب على عنوانين مختلفة ، وبعد المقدمة قد بدأ الكتاب عن نسب النبي عليه السلام ، وكتب عنوان الكتاب من السنة فمثلاً السنة الأولى إلى السنة الحادية عشرة ، وفيها الحديث عن بناء المسجد ، والفرزوات ، والسرايا وشمائل النبي عليه السلام وتحتوي نهاية الكتاب على معجزات النبي عليه السلام . "عقبرية محمد" صلى الله عليه وسلم للعقاد :

الفه عباس محمود العقاد ، قد أزال شبهات الكتاب الإنجليزي مثلاً كتب توماس كارلайл كتاباً باسم "الأبطال" وحصر فيه بطولة محمد صلى الله عليه وسلم بأنها كانت بطولة سيف ودماء كما تطاول في كتابه على النبي المحتشم عليه السلام من جهة تعدد أزواجه . كان العقاد يتصدى في هذا الكتاب للدفاع عن الرسول عليه السلام والرد على الشبهات التي آثارها المستشرقون في كتاباتهم ويأتي بالدلائل المنطقية المقنعة وال Shawahed التاريخية على إثبات عظمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكشف القناع عن دسائس ومكاييد ومؤامرات المستشرقين التي حاولوا إفشائها وترويجها متسربين بزي العقل والعلم كما أنهم يقولون عن الإسلام أن الإسلام انتشر بقوة السيف ، إن النبي عليه السلام يتعرّف رؤية الدماء وأن تعدد زوجات النبي عليه السلام كان استجابة لرغباته الجنسية

ولذاته الحسية ، والإسلام لا ينصلف في إياحته له تعدد الزوجات ولا ينصلف في تبرير العقوبات وغيرها . فقد رد العقاد في كتابه " عقرية محمد " صلى الله عليه وسلم على ادعاءاتهم الباطلة الكاذبة المفترضة بكل مهارة علمية . وتميز الكتاب عن ثلاثة أخرى لحسن عرض الموضوع وصدق تعبيره ودقة تحليله وروعة استقصائه ، وكما يشتمل الكتاب على ثلاث تقديمات والمقدمة واثنا عشر باباً أو فصلاً . وهذا الكتاب يحتوي على مائة صفحة متوسطة الحجم .

" حياة محمد " لـ محمد حسين هيكل :

هذا الكتاب يتناول سيرة حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مولده حتى وفاته وما رافق من ذلك من مراحل البعثة والهجرة وكل التفصيات الأخرى المتعلقة ب حياته صلى الله عليه وسلم . هذا الكتاب يُعد من أروع المؤلفات وأطرف المصنفات التي صدرت من قلمه الحر الطليق وفكره القائم على مناهج البحث العلمي ، ومن هذا الكتاب يعزز هيكل ويفتخربه ، ويزعم أن هذا الكتاب يكاد أن يكون عمدة في كل ما ألف عن الرسول عليه السلام . ، وفيه رد الدكتور هيكل على اعتراضات المستشرقين .

" على هامش السيرة " للدكتور طه حسين :

هذا الكتاب " على هامش السيرة " ألفه الدكتور طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣م) . إنَّ الدَّكْتُورَ طَهَ حُسَيْنَ اخْتَارَ السِّيرَةَ النَّبُوَيَّةَ فِي هَذَا الْكِتَابَ كَوْسِيْلَةً لِإِحْيَاءِ التِّرَاثِ الْأَدْبِيِّ الْقَدِيمِ ، فَنَسَجَ كَثِيرًا مِنْ مُوْضِعَاتِهِ فَهُوَ يَعْنِي بِأَنَّ يَتَخَذَ سِيرَةَ النَّبِيِّ كَمَادَةَ الْأَدْبِ الْأَسْطُوْرِيِّ .

إنَّ الْكِتَابَ " عَلَى هَامشِ السِّيرَةِ " هَذَا هُوَ نَتْرِيْجَ لِأَفْكَارِهِ الَّتِي تَتَوَلَّ مِنْ أَفْكَارِ الْأُورَبِيِّينَ الَّذِينَ بَذَلُوا جَهَوْدَهُمُ الشَّاقَةَ فِي تَوْلِيدِ الشَّبَهَاتِ عَنِ الإِسْلَامِ ، لِأَنَّهُ نَاقَشَ فِيهِ عَنْ قِسْوَةِ مَصْرُ وَالشَّامِ وَنَصَارَى الْيَمَنِ ، كَمَا أَنَّهُ عَنِّيَّ عَنْيَةً كَبِيرَةً بِالتَّارِيْخِ الْيُونَانِيِّ وَالْرُّومَانِيِّ وَخَلَطَ بَيْنَ الْمَسَائِلِ خَلْطًا شَدِيدًا .

" محمد " صلى الله عليه وسلم لـ توفيق الحكيم :

هذا الكتاب هو سيرة حوارية جميلة يتناول فيها توفيق الحكيم

قصة حياة النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا الكتاب "محمد" مشتمل على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، ويضم كل منها عدداً من المنشآت في المقدمة ثماني مناظر ، وبيان عن الإرهاصات قبل النبوة . ففي الفصل الأول ستة وثلاثون مشهداً تدور حول السيرة النبوية المطهرة منذ البعثة إلى الهجرة . وأوضح توفيق الحكيم عشرون مشهداً في الفصل الثاني ، يمثل فيه ما وقع من الأحداث في الفترة الأولى من مقامه صلى الله عليه وسلم بالمدينة حتى موقعة بنى قريطة بعد غزوة الأحزاب .

"عظمة الرسول" عليه السلام ل محمد عطيه الأبراشي :

قد ألفه المفكر والفيلسوف المصري محمد عطيه الأبراشي (١٨٩٧ - ١٩٨١) والكتاب "عظمة الرسول" كتاب موجز شامل متكملاً عن سيرة النبي الكريم عليه السلام . وهذا يقع في مجلد ضخم ومشتمل على ٣٨٧ صفحة ، واحد وعشرين فصلاً حيث يحيط بجوانب حياة النبي بأكمله ويرهن على عظمة الرسول برهااناً واقناً ويدل على حالة العرب قبل الإسلام وبعده ويدحض الآراء الباطلة التي اخترعها المفترون على الرسول والدين الإسلام .

"محمد رسول الله والذين معه" لعبد الحميد جودة السحار :

ألف الأديب عبد الحميد جودة السحار (١٩١٣م - ١٩٧٤م) الكتاب القيم على السيرة النبوية باسم "محمد رسول الله والذين معه" وقد أحاط فيه بالسيرة النبوية من أيام إبراهيم عليه السلام حتى وفاة محمد صلى الله عليه وسلم .

كما يكتب الدكتور حسنن أختري في مقالته : "إن عبد الحميد جودة السحار لعب دوراً هاماً في كتابة السيرة النبوية العظيمة والتاريخ الإسلامي بأسلوبه الشخصي وتقديمه في صورة الأفلام والمسلسلات التلفزيونية التي أدت إلى تثقيف عامة الناس والجيل الناشئ" .^١

^١ مقال الدكتور حسنن أختري في كتاب " أدب السيرة النبوية العربية في العصر الحديث " لـ كفيل أحمد القاسمي ١١٥

● "سيرة الرسول" لـ محمود المصري :

قد ألف محمود المصري هذا الكتاب على السيرة النبوية باسم "سيرة الرسول" أوضح المؤلف مزايا السيرة النبوية ، والكتاب يشتمل على أبواب كثيرة وذات عناوين مختلفة ، منها ، الباب الأول في بيان النسب الشريف للنبي عليه السلام ، والباب الثاني في بيان السمات البارزة لهذه المرحلة ، ثم قد ذكرت الهجرة الأولى إلى الحبشة في الثالث ، وفي الثامن "غزوة أحد" ثم غزوة بنى المصطلق (المريسيع) في التاسع . وقصة الإفك في العاشر ، هكذا عنوان "غزوة الخندق في الحادي عشر وغزوة بنى قريطة" في الثالث عشر . واختار المؤلف عنوان "أحداث وقعت بعد غزوة بنى قريطة" في الثالث عشر . ناقش عن صلح الحديبية في الرابع عشر ومكاسبة الملوك والأمراء في الخامس عشر وغزوة ذي قرد في السادس عشر وغزوة خيير في السابع عشر . غزوة ذات الرقاع في الثامن عشر .

"خاتم النبيين" للإمام أبي زهرة :

ألفه محمد أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبي زهرة (١٨٩٨م) وإن الكتاب "خاتم النبيين" كتاب ضخم حول موضوع السيرة النبوية ، نشره دار الفكر العربي . يُعدّ هذا الكتاب من الكتب التي اتخذت من السيرة النبوية مجالاً للدراسة والانبساط . إن الكتاب "خاتم النبيين" يتميز ببساطة أسلوبه ورد مجموعة الشبهات والروايات المترولة المثبتة في بطون الكتب الأولى .

"محمد رسول الله" لـ محمد رضا :

إن هذا الكتاب من الكتب القيمة الإسلامية التي كتبه محمد رضا وقويل بالغبطة والرضا ، وانتشر في جميع العالم الإسلامي ، وانتفع به طلاب التاريخ العربي ، ومحبو السيرة النبوية ، جمع هذا الكتاب ما تفرق في الكتب من سيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وما اشتملت عليه من معان رفيعة وأعمال جليلة تدل على رفعة قدر وعلو همة وقوة عزيمة لم تتح لغيره .



فتح المعين : أهم إنجازات كيرلا في الفقه الإسلامي

الأخ داود بن محمد^١

(فتح المعين كتاب شأنه عجب حوى من الفقه ما لم يحوه الكتب) "فتح المعين بشرح قرة العين بمهماز الدين" من أبرز إنجازات الفقيه الإمام العلامة الشيخ أحمد زين الدين المخدوم الثاني في الفقه الإسلامي على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله . ولعل هذا التأليف القيم أهم باعث في نشأة هذه الظروف الفقهية في سواحل كيرلا .

إن هذا الكتاب شرح كتابه المسمى بـ "قرة العين بمهماز الدين". و "قرة العين بمهماز الدين" كتاب مختصر صنف بشكل موجز لصالح الأذكياء والبلاء كما هو واضح من مقدمة المصنف نفسها حيث يقول : سميتها بقرة العين بمهماز الدين راجيا من الرحمن أن ينتفع به الأذكياء . وقد احتوى على كنوز ذهبية ودرر غالبية حيث يقرأ عين من اطلع عليه ويزرع مهارة المصنف ويشهد براعته ودقته في العلوم الفقهية . وقد دون شروحًا ومنظومات أخرى لقرة العين بمهماز الدين غير شرح المصنف رحمه الله كـ "نهاية الزين في إرشاد المبتدئين" بقلم أبي المعطي محمد بن عمر نووي الجاوي المعروف بعالم الحجاز صاحب تصانيف عديدة في التفسير وتزكية القلوب . وقد اعتمد الشارح في شرح هذا الكتاب على كتب معتمدة في الفقه الشافعي مثل "نهاية المنهاج إلى شرح المنهاج" و "تحفة المنهاج" و "فتح الججاد" . وشرح هذا الكتاب الموجز بشكل المنظومات كـ "نظم قرة العين لتن فتح المعين" للشيخ العالم الجليل المولوي محمد مسلیان المعروف بشاعريته عند علماء المليباريين . و "النظم الوي في الفقه الشافعي" للعالم الجليل الشيخ أبو سهيل أنور عبد الله بن عبد الرحمن الفضري المليباري . قسم المؤلف العالم الموضوعات في المنظومة كما قسمها الإمام المليباري في قرة العين . وطبع هذا الكتاب المشتمل ٩٩٩ بيتاً سنة ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م في دار الصميغي للنشر والتوزيع . فلما أحس الإمام رحمة الله بشدة الاحتياج إلى شرح يحلل مسائله

^١ الطالب في كلية الشيخ أبي بكر للأداب والعلوم الإسلامية ، قسم الشريعة الإسلامية .

ويسهل للطلبة إدراك مسائله وفهم مكتوناته قام بتصنيف شرح بين المراد ويتم المفاد ويحصل المقاصد والفوائد . وهذا هو "فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين" الذي صار مرجعاً للمفتين ومنها لطلابين ، وقد اعنى في تصنيفه بعض ما يخص بأحوال كيرلا وظروفه الخاصة من أكل القبل وحرمتها وأجزاء المسجد المشيد على طراز كيرلا ، وهكذا .

وقد حظي هذا الكتاب التأثير بمكانة رفيعة في معظم بلدان المسلمين حيث يدرسه أهلها ويشرحونه ويتعلمون عليه جم غفير في كتابتها . ولا يزال يدرس في كثير من المعاهد والجامعات الإسلامية العالمية مثل الحجاز ، والشام ، والهند ، وإندونيسيا ، وماليزيا ، وسنغافورة ، وسريلانكا ، وصوماليا وغيرها . وطبع مراراً في الهند وخارجها . ولم يذكر المؤلف تاريخ شروع تأليفه ، بل حتى لنا عن انتهائه حيث يقول : فرغت من تبييض هذا الشرح ضحوة يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر رمضان المعظم قدره سنة اثنين وثمانين وتسعة مائة .

وكان هذا الكتاب مقرراً في الحلقات العلمية ويعتبر في الرتبة الأولى في قائمة كتب الفقه الشافعي في معظم البلدان . وهذه الحلقات - في بعض الأحيان - أدت إلى تأليف شروح وتعليقات لهذا الكتاب . وهذا ما يقربه صاحب إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين في صفحاته الأوائل من كتابه وقد اعنى العلماء والمدرسون اعتماداً بالغاً بهذا الكتاب حيث أدرجوه ضمن مناهجهم التعليمية .

مؤلفات حول الكتاب "فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين"
"إعana الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين" للشيخ العلامـة السيد أبو بكر عثمان بن السيد محمد شطا الدمياطي البكري رحمـه الله (١٢٦٦هـ - ١٣٢٠هـ) . وهذه الحاشية أكبر حجماً وأعظم نفعاً وأوسع استخداماً من الحواشـي الأخرى على "فتح المعين" . اعنى العلماء المتأخرون بها كـأهم مرجع حتى ينقلون منها ويفتون بها في الأحكـام والمسائل . وقد طبعها مطبع دار إحياء الكتب العربية ومطبع أبناء مولوي محمد بن غلام رسول السورـي بممبئـي وـفي مطابع أخرى في داخل الهند وخارجـها . وقد قام الشيخ عبد الله الـولـوي الشـالـلـكـيـ المـلـيـبـارـيـ بـتـرـجـمـتـهـ إلى لـغـةـ أـهـلـ مـلـيـبـارـ .

ترشـيـحـ المستـقـيـدـينـ حـاشـيـةـ فـتحـ المعـيـنـ" للـشـيخـ العـلـامـ السيدـ عـلـوىـ

بن أحمد السقاف المكي رحمة الله (١٢٥٥هـ - ١٣٣٥هـ) كان تأليفه في نفس الوقت الذي ألف فيه إعanaة الطالبين . وطبع هذا الكتاب في دار الفكر ومؤسسة دار العلوم لخدمة الكتاب الإسلامي بيروت - لبنان .

"إعanaة المستعين على فتح المعين" للشيخ العالم علي بن أحمد بن سعيد باصبرين رحمة الله المتوفى سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م . قام بتصنيفه لما أحسن بندرة مواد يوضح مراد الفاظ فتح المعين . بل لم يطبع هذا الكتاب الفالي حتى الآن .

"شرح على فتح المعين" للعلامة زين الدين المخدوم الأخير الفناني رحمة الله (١٢٢٥هـ - ١٣٠٥هـ) . وهذا الشرح في ثلاثة أجزاء لم تطبع حتى الآن .

"حاشية على فتح المعين" للعلامة الشيخ أحمد الشيرازي النادافري المليباري رحمة الله (١٢٦٨هـ - ١٣٢٦هـ) .

"حاشية فتح الملهم على فتح المعين" للشيخ مهران كتي مسليار النمروري المليباري المتوفى سنة ١٤٠٣هـ والعلامة الأستاذ أبي بكر الباقي التانوري مليباري الشهير بـ "كى . كى . حضرت" المتوفى سنة ١٤١٥هـ . وطبعت هذه الحاشية في "مكتبة كرست" بمدينة "تشمد" .

وقد قام جمع كثير من العلماء مليباريين والآخرين بتعليقات لهذا الكتاب كالشيخ أحمد بن عبد العزيز المخدومي الفناني والفقير العالم أحمد الصفيري بن محمد البانكوتى مليباري رحمة الله المعروف بكثيراً مسليار وكنج محمد مسليار والشيخ كنج أحمد مسليار الإرمباشيري والعلامة شهاب الدين أحmd كويشا الشالياتي والمحقق محمد مسليار الكرنكفاراوي ، وطبعت هذه الكتب في مختلف مطابع ديار مليبار . وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات ، خاصة إلى اللغة المحلية (مليالم) من خلال العلماء التابعين كالعالم في . كى . كنج باوا مسليار والشيخ محى الدين السلمي وإبراهيم الفيضي الفتوري والشيخ العلام عبد الله الفيضي بن محمد الكودشيري مليباري ليستفيد منه عامة أهل كيرلا إلى لغة كتادية . ولغة ماليزيا ولغة إندونيسيا . وهكذا توجد منظومات حول هذا الكتاب ، وكل هذه الأعمال العلمية خير دليل على قبوليته ومكانته في المجتمعات الشافعية .

ترجمة المصنف :

ولد الشيخ الإمام أحمد زين الدين بن محمد الغزالى بن أبي يحيى زين الدين بن علي بن أحمد المليباري الهندي أو المخدوم الثاني بـ "تشومبالي" بالقرب من مدينة "ماهي" في مديرية "كثور". وكان مولده في سنة ١٥٢٣ هـ / ٩٣٨ م في أسرة عريقة أنجبت كثيراً من العلماء معروفة بأسرة "المخدوم". وتلقى الشيخ مبادئ العلوم الدينية واللغوية عن والديه من مسقط رأسه بقرية "تشومبالي" ولم تُشطب وفاة والده في الصغر عزيمته للتعلم والتفقه ، بل رحل محققاً آماله وأهدافه إلى منابر العلوم الدينية في أنحاء ديار مليبار مثل حلقة فناني . ومن المستحيل أن تكبح همته وعزيمته لطلب العلم ، وهذا ما أداه إلى مغادرة الأوطان وارتكان السفينة إلى مكة المكرمة ليُردد منها كل الموارد العلمية ومناهلها . واستقر فيها مدة عشر سنوات جعلته حاذقاً في الفقه خاصة في الفقه الشافعي وعلوم الحديث والتاريخ والتصوف واشتهر بينهم باسم المحدث . وحظي أن يكون تلميذاً للفقيه المشهور المكي أحمد شهاب الدين بن حجر الهيثمي رحمه الله . وأنقنت هذه التجربة جودته اللغوية وأجادت معارفه المتعددة . ما كان مجال تعليمه محدوداً بعلم بل أحرز أغلب العلوم الشائعة في عصره بل تميز ببراعته الفائقة في الفقه حتى سماه الناس "الفقيه" طيلة حياته وبعد وفاته . وذكر مجموع من مؤرخي مليبار أن الشيخ ابن حجر الهيثمي رحمه الله زار مليبار وجلس في المسجد الجامع بمدينة فناني حينما كان تلميذه زين الدين المليباري رحمة الله مدرساً فيه . ولنا أن نعتز ونفتخر بل لنا أن نجتهد ونسعى لإنجاد النبلاء الفقهاء كممثتهم في كل الفنون لترفرف رأيات الإسلام بالعزّة وحركاته العلمية في بلادنا العريقة علمًا وحكماً . وفقنا الله جمِيعاً أَمِينَ .

المراجع :

- فتح المعين بشرح قرة العين للفقيه أحمد زين الدين بن محمد الغزالى بن أبي يحيى المليباري .
- إعانته الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين "للشيخ العلامة السيد أبي بكر عثمان بن السيد محمد شطا الدمياطي البكري رحمة الله .
- نهاية الزين في إرشاد المبتدئين "لأبي المعطي محمد بن عمر نووي الجاوي .

خطرة عالمية لتقسيم المسلمين

الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوبي

نشرت بعض الصحف تقريراً للرئيس وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية السابق بروس ريدل ، وهو تقرير ينذر بخطر كبير بالنسبة للمسلمين عامة ، وللغرب خاصة ، ويقدم صورة قائمة لمنطقة الشرق الأوسط، يشتمل التقرير على خطة التقسيم لعدد من البلدان الإسلامية إلى دويلات صغيرة، أو كيانات صغيرة ، كما وصف الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش بعد اتفاقيات الاتحاد السوفياتي واحتلال أمريكا مكانة سيد العالم .

فيقول التقرير : إن الحرب اللبنانية في منتصف السبعينيات كانت مقبلات لما جاء بعدها وسيأتي لاحقاً ، مضيفاً أن غزو العراق عام ٢٠٠٣ مهد لتفكيك الدول العربية ، ويقول : إن سوريا وليبها باتتا في طريقهما إلى الاختفاء من الخريطة السياسية ، وإن العراق سي فقد هو الآخر شماله الكروي ، ويقول : إن ما يسميه الإيرانيون ثورة إسلامية إنما هو في الحقيقة ثورة مذهبية ، وما دامت هناك مليشيات شيعية في العراق تدعمها إيران ، سيكون هناك داعش ، ويقول : "أحب الإيرانيون العراق إلى درجة أنهم يريدون رؤية ثلاثة دول فيه؛ عراق شيعي ، وعراق أصفر سني ، و العراق كردي ، وبهذا يمكنهم استغلاله ، ويستبعد أن يلغى الرئيس الإيراني حسن روحاني "الحرس الثوري" لأنه عاجز عن ذلك" .

وقد بدأ العمل على هذه الخطة ، وظهرت نتائجها في عدد من البلدان العربية ، فقد بدأت هذه النظرية بتقسيم السودان إلى الشمال والجنوب على أساس الدين ، وإذا طبقت هذه النظرية فتقسم عدة بلدان على أساس الدين ، وتغيير خرائط الدول بتغير نسبة أتباع الأديان المختلفة ، وفي بعض المناطق تتأثر أقليات دينية بالأكثرية ، وعلى هذا الأساس ظهرت عدة دول باتفاقها من البلد الأم في آسيا ، وفي أفريقيا تعرضت عدة دول لهذا التقسيم ، وقد تفرض علماء الهند المخلصون لخطر نظرية القومية على أساس الدين .

ومن الغريب أن هذه النظرية تطبق على غير المسلمين وحدهم إذا كانوا في بلد الأغلبية الإسلامية ، ولكن إذا كان المسلمين في أقلية في بعض المناطق ، وطالبوا بحقوقهم لاتباع تعاليم دينهم وثقافتهم ، فيحرمون ويطلق عليهم تعبير الانفصال والإرهاب ، كما يحدث في بورما وأماكن أخرى ، وتمارس فيها الحكومة القائمة وسائل قمع الحريات .

وأوضح معنى هذا التقرير هو تقسيم عدد من البلدان الإسلامية على أساس طائفي وذهبي كما يظهر من هذا التقرير ، وبهذا التقسيم تتحول عدد من البلدان الإسلامية إلى دولات صغيرة؛ ولا نقول دولات صغيرة؛ بل تتحول إلى دولات متصارعة ، وقد بدأ عمل تنفيذ هذه الخطة بتدمير حوادث الانفجارات الانتحارية التي ذهبت ضحيتها عدد كبير من المسلمين أنفسهم بأيدي المسلمين الذين تختلف انتقاماتهم المذهبية ، كما حدث أخيراً في أفغانستان ، وفي باكستان ، وفي العراق ، وفي اليمن ، ويجري منذ مدة طويلة في سوريا .

وتتطور هذه النزعة فتتحول إلى صراعات قبلية ، ويخشى ذلك أكثر في البلدان التي تعيش فيها قبائل تحت قيادات مختلفة ، وتصبح الدول الأفريقية أكثر تعرضاً لهذه الحروب الأهلية .

ثم تأتي مرحلة الأيديولوجيات الاقتصادية والسياسية والعقدية ، فيتلاشى بذلك المجتمع المسلم المتماسك المريوط في عقيدة واحدة كما كان في القرون الأولى التي كانت عهد الانتصار والغلبة بوحدة صفوف المسلمين ، وذلك بالاعتصام بحبل الله "أعتصموا بحبل الله جمِيعاً ولا تفرقوا وأذْكُرُوا نعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَالْفَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبِرُوهُمْ بِنَعْمَتِهِ إِخْرَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ التَّارِ فَاقْدَدُوكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَذَّدُونَ" آل عمران [١٠٣] .

لا شك أنه يوجد في المسلمين اليوم فروق وخلافات في الفكر والاتجاه ، وذلك بتأثير نظام التعليم الغربي المفروض عليهم الذي يفسر في أذهان المسلمين تصور تفوق الغرب واقتباس أفكار قادته ووسائل الرقي التي اختارها بعد الانفصال من الدين والأخلاق والثورة على القيم وتقلب المادية الجامحة .

وبتأثير هذا النظام توجد في المسلمين نسبة كبيرة من المقتبسين من الغرب الذين يتلقون أوامر الساسة والقادة في الغرب وينفذون تعاليهم ، وإذا قام نظام عادل مستقل يسرعون لرأد هذه الحركة وتستخدم وسائل متعددة لإحباط هذه المساعي لإقامة نظام مستقل كما حدث في مصر حيث قامت حكومة منتخبة ، ولكن سياساتها كانت تتعارض مع مصالح هذه الطبقة

فأحيطت هذه المحاولة .

وجريدة هذه السياسة في تركيا أخيراً ، ولكن الشعب التركي الفيور غالب على هذه الشروذمة العسكرية العمليه ، وأحيطت محاولة قلب نظام حكم كان يسعى إلى إسعاد الشعب ورقي البلاد ووضعها على قدميها ، ومسح آثار التبعية والاحتلال ، ومحو آثار السياسة التي تختلف رغبات الشعب المسلم منذ أكثر من قرن نتيجة لمؤامرة غربية .

ولو تحققت هذه المؤامرة لتغيرت خريطة تركيا وتعرضت لخطة التقسيم . ولعبت وسائل الإعلام الغربي في تنفيذ هذه الخطة دوراً مهماً بنشر أخبار لا صلة لها بالواقع كما حدث في قضية الثورة المضادة الفاشلة ، ولعبت في ذلك بعض الدول العربية المسلمة دوراً لخضوعها لسياسة الدول الأوروبية ، لأنسنيها ، وبدل ذلك على حالة الخضوع والاستسلام للنظام المعاند في الغرب للإسلام والمسلمين ، فيساعد هذا النظام على إعداد حضر حفرة تقع فيها نفسها .

إن هذا التقرير جدير بأن يدرسه قادة المسلمين ويدرسوا خطورته ويبذل الجهد لتوحيد صفوفهم والتغلب على خلافاتهم ، وملء فجواتهم قبل أن تكون الدول القائمة منذ مدة طويلة درساً للتاريخ .

ولا تتعلق هذه الخطة بالدول الإسلامية أو العربية؛ بل تؤثر على البلدان التي يعيش فيها المسلمون بأكثريه كبيرة كالهند ، فتدعي الأوساط الأغلبية في الهند أنها ستقسام المسلمين إلى فرق على أساس المذهب والاتجاه الديني بكسب ود بعض الفئات لتحقيق سياستها وإبعاد فئات أخرى عن موضع التأثير ، ويجري العمل على هذه الخطة ، وتستخدم هذه الخطة في الانتخابات العامة لأن أصوات المسلمين لها وزن في الانتخابات ، وإذا تم الحصول على تأييد بعض الفرق من المسلمين فإن الفوز في الانتخابات مضمون .

إن خطة تقسيم المسلمين خطة خطيرة لبلدان لها تأثير على مستقبل العالم الإسلامي ومستقبل المسلمين في البلدان التي هم فيها في أقلية ، فليدرك قادة المسلمين خطورة هذه الخطة المشئومة لكي لا يتحقق ما يخطط بالبلدان على أساس العصبيات العرقية والعنصرية والمذهبية .

لقد كانت الثورات التي حدثت في بعض البلدان العربية جزءاً من هذه الخطة ، وقد وصفها بعض المحللين بالريع العربي ، لكنها أدت إلى الفوضى والتشتت والتقسيم في صفوف المسلمين .

إن يمسيكم قرح ، فقد مس القوه قرح مثله

محمد فرمان الندوبي

الإسلام دين الجهد والجهاد ، دين العدة والعتاد ، دين الوسطية والاعتدال ، دين السعادة وهناء البال ، دين يحفة شوك وقاد ، وتأتي فيه وهاد ونجاد ، دين ينعم به السعداء ، ويتحقق في الأشقياء ، دين قال عنه صلى الله عليه وسلم : حفظت الجنة بملكاره وحفظت النار بالشهوات - قال : ألم حسيت أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويفعل الصابرين (آل عمران : ١٤٢) .

إن هناك نظامين لله تعالى : نظاما ظاهرا ، يراه الناس بأم أعينهم ، ويفارسونه صباح مساء ، ليلا نهار ، وهو ما يعرف في مصطلح القرآن الكريم بسنة الله تعالى : سنتة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (الأحزاب : ٢٨) ونظاما آخر باطننا ، لا يراه الناس ولا يدركون أهميته ، لكنه يسير سيره الطبيعي ، وهو معروف في التعبير القرآني بقدرة الله تعالى ، قال الله تعالى : فَدَرَّنِي وَمَن يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَتَسْتَدِرُّجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وأملي لهم إن كيدوا متين (القلم : ٤٤) . إن المؤمنين لا يعتمدون على النظام الظاهر ، بل يعتمدون على النظام الباطن ، هنا الذي يحرك عزائمهم ، ويشجذ إيمانهم ، ويملؤهم بقينا وإخلاصنا ، وشجاعة واقداً ، قال الله تعالى : وَلَعِبَدُ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ لَنَاسٍ لَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (البقرة : ٢٢١) .

إن سنته لله تعالى جارية منذ الأزل إلى الأبد ، لكن قدرة الله تعالى تظهر حيناً آخر ، أيذاناً بأن الله هو المحيي والمميت ، والرافع والخافض ، المعز والمذل ، قال الله تعالى : قل اللهم مالك الملك توقي الملك من شقاء وتزيغ الملك من شقاء وتغير من شقاء وتثول من شقاء يدرك الخير إنك على كل شيء قدير (آل عمران : ٢٦) ، وقد ظهرت قدرة الله تعالى حينما خرجم الناقة من الجبل زمن ثمود ، وظهرت قدرة الله تعالى حينما خرج إبراهيم عليه السلام من النار سالما معاذى ، وظهرت قدرة الله تعالى حينما اثنل حد سكين إبراهيم عليه السلام على حلقه اسماعيل عليه السلام ، وظهرت قدرة الله تعالى حينما نجا موسى عليه السلام وقومه ، وغرق فرعون مع جنوده وعساكره ، وظهرت قدرة الله تعالى حينما ولد عيسى عليه السلام من غير أب ، وهو يبرئ الأكمه والأبرص ياذن الله ، ويخرج الموتى بإذن الله تعالى ، قال الله تعالى : إِنَّ اللَّهَ فَالِّيْلُ الْجَبَرُ وَالنَّوْمُ يُخْرِجُ الْحَىْ مِنَ الْمَيْتِ وَمُخْرِجُ الْمَيْتِ مِنَ الْحَىْ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفِكُونَ (الأنعام : ٩٥) .

هذا كله في زمن الأنبياء والرسل ، وهناك فترة قد امتحنت فيها آثار الدين الحنيف من الأرض ، وانطممت تعاليمه انطماما كلها ، وهي فترة لم يأت فيهانبي ولا رسول ، وهي فترة العصر الجاهلي ، أراد أبرهة الأشرم أن يهدم الكعبة المقدسة ، بيت الله الحرام ، ففكرا وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ومكر مكرا ، والله خير الماكرين . قال الله تعالى : ألم ترَ كيْفَ

فَعَلَ رَبُّكَ يَأْصَحَّابِ الْفَيْلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْليلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ .
تَرْمِيمِهِمْ بِعِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفِيْ مَأْكُولٍ (الفَيْل : ٥ - ٤) .
كَمْ أَرَادَ الْأَعْذَاءُ الْأَلَاءَ أَنْ يَطْفَئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَيَهْدِمُوا صَرْحَ
الْإِسْلَامِ بِأَسْرِهِ ، لَكِنْ جَهُودِهِمْ يَاعِتُ بِالْفَشْلِ ، وَمَسَاعِيهِمْ لَمْ تَصُلْ إِلَى الْأَجْلِ ،
وَظَلَ الدِّينُ إِسْلَامِيًّا يَنْورُ الْكَوْنَ يَا شَرِاقَاتِهِ ، وَيَبْدِي الظَّلَامَاتِ يَا ضَاءَاتِهِ ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : يَرِيدُونَ أَنْ يَطْفَئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ وَكُوْكِرَةُ
الْكَافِرُونَ . (التَّوْبَة : ٣٢) .

وَلَا شَكَّ إِنَّ النَّصَرَ الْإِلَهِيَّ مَعْقُودٌ بِهَذَا الدِّينِ ، وَلَنْ تَقْرَبْ شَمْسُ الْإِسْلَامِ
بِإِذْنِ اللَّهِ - كَائِنًا مَا كَانَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا - بِشِيرْطٍ أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ
قَوِيًّا ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ مُخْلِصًا لِلَّهِ - قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلِفُوكُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْتُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيَمْكُثُنَّ
لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيَبْدُلُنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْنًا (النُّور : ٥٥) .

وَقَدْ ظَهَرَتْ نَمَاجِزُ ذَلِكَ فِي زَمِنِ سَيِّدَنَا أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
جِينَمًا قَاتَمُ الْمُرْتَدِينِ ، وَقَالَ قَوْلُهُ الْبَلِيجَةُ : وَاللَّهِ لَوْ مَعْنَوْنِي عَقَالًا مَا كَانُوا يَعْطُونِهِ
زَمِنُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَاهِدِهِمْ . وَفِي زَمِنِ عَقْبَةَ بْنِ نَافِعِ الْذِي فَتَحَ الْمَغْرِبِ
الْأَقْصِيِّ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى قَاتِلًا : اللَّهُمَّ رَبِّ مُحَمَّدٍ وَاللَّهُ لَنِوَاعِلُمُ أَنَّ وَرَاءَ الْبَحَارِ أَرْضًا
يَابِسَةً لَا فَتَحْتَمَتْ بِفَرْسِيِّ هَذَا الْمَوْجِ الْمَائِجِ لِأَنْشُرِ دِينِكَ فِي أَقْصَى بَقَاعِ الْأَرْضِ ، وَفِي
زَمِنِ طَارِقَ بْنِ زَيْدِ الْذِي فَتَحَ الْأَنْدَلُسَ ، وَخَطَبَ خَطْبَةً ، وَمَسَتِّهَا : أَيُّهَا النَّاسُ أَيْنَ
الْمَفْرُوضُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَالْعُدُوِّ أَمَامَكُمْ ، وَلِيُسْتَكِنَّكُمُ اللَّهُ إِلَّا الصَّدْقُ وَالصَّبْرُ ،
وَفِي زَمِنِ الْبَطْلِ الْإِسْلَامِيِّ الْكَبِيرِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ الْأَبْوَيِّ الَّذِي اسْتَرْدَدَ بَيْتَ اللَّهِ
الْمَقْدِسِ مِنْ أَيْدِي الْمُفْتَصِّبِينَ الْمُجْرِمِينَ ، وَقَدْ تَجَلَّتْ أَمْثَالَ ذَلِكَ أَيَّامَ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ
الْفَاتَحِ الَّذِي فَتَحَ الْقَسْطَنْطِنْطِينِيَّةَ ، وَلَمْ يَلْغُ مِنَ الْعُمَرِ إِلَّا ٥٦ عَامًا ، وَالَّذِي صَدَقَ عَلَيْهِ
أَيْضًا قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَتَفْتَحُنَ الْقَسْطَنْطِنْطِينِيَّةَ ، فَلَنْعَنْ الْأَمْرِيَّرِ أَمْيَرِهَا
وَلَنْعَنَ الْجَيْشَ ذَلِكَ الْجَيْشِ . وَظَهَرَ نَصَرُ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، وَفِي هَذَا
الْعَصْرِ بِالذَّاتِ ، فَطَوَّبَ لِلْأَبْطَالِ الْمَفَاوِرِ فِي تُرْكِيَا الَّذِينَ ضَحَوْا بِحَيَاةِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ الْإِنْقَلَابِ الْعَسْكَرِيِّ الْفَاشِلِ ، وَهُنْ هُنْ لِلْقِيَادَةِ الرَّشِيدَةِ الْعَادِلَةِ الَّتِي
وَفَرَّتْ أَجْوَاءُ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ لِمَوْاطِنِهِمَا وَسَكَانِهِمَا ، وَسَلَامٌ عَلَى تَلِكَ الْأَرْوَاحِ الْجَرِيَّةِ
الْبَاسِلَةِ الَّتِي وَقَفَتْ أَمْيَامِ الدِّبَابِيَّاتِ وَالْحِسَارِيَّاتِ وَالْقَنَابِلِ الْمَدَرِّمَةِ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ دَمَاءَ
الشَّهَدَاءِ لَا تَذَهِّبُ هَدْرًا ، بَلْ تَبْتَتْ نَيَّاتَهُمْ حَسَنًا ، فَتَخْضُرُ حَقُولُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ
اَخْضَرَارًا كَامِلًا ، بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصِرُ مِنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، يَقُولُ الدَّكْتُورُ
مُحَمَّدُ إِقْبَالٍ : إِنَّ إِقْبَالَ لَيْسَ قَانِطًا مِنْ تَرِيَتِهِ ، فَإِذَا سَقَيْتَ أَنْتَ بِحَاصِلٍ كَبِيرٍ . قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى : وَلَقَدْ يَكْتُبُنَا فِي الرَّبِّيُورِ مِنْ بَعْدِ الذَّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادُ الْمَسَاجِدِ .
إِنَّ فِي هَذَا لِبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (الْأَنْبِيَاءُ : ١٠٥ - ١٠٦) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
بَشَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرَّفْعَةِ وَالنَّصْرَةِ وَالْتَّمَكِينِ فِي الْأَرْضِ ، مِنْ عَمَلِ فِيهَا عَمَلِ
الْآخِرَةِ لِلَّدِنِيَا ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (مَسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : بَحْرُ
١٢٤ / ٥) . أَمَّا الْقَرْوَحُ وَالْجَرْوَحُ ، وَالْأَصَابَاتُ وَالشَّهَادَاتُ تَلِوُ الشَّهَادَاتِ قَدْ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهَا : إِنَّ يَمْسِكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَيَّنَ الْقَوْمَ قَرْحٌ مُتَلِّهٌ وَتِلْكَ إِلَيَّمَأْيَامٌ تُدَاوِلُهَا يَمِّينُ
النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَجَهُ مِنْكُمْ شَهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلَيَمْحَصُ
اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (آلِ عُمَرَانَ : ١٤٠ - ١٤١) .

إلى رحمة الله تعالى :

١- فضيلة الحافظ عبد الستار عزيزي في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالحافظ عبد الستار عزيزي الأمين العام لمركز إحياء الفكر الإسلامي بمديرية سهارن فور بولاية أترابرديش، الهند ، وهو والد فضيلة الشيخ محمد مسعود العزيزي الندوبي ، وذلك في ١٩ / من شهر يونيو ٢٠١٦ م ، الموافق ١٣ / من شهر شوال يوم الثلاثاء .
لقد تلقينا نبأ وفاته بأسى وأسف بالغين ، فقد اتصل بنا الشيخ مسعود عزيزي هاتفيًا وأخبرنا بالحادث ، فإنما الله وإنما إليه راجعون .
كان الراحل الكريم من مواليد ١٩٣٢ م ، وقد حفظ القرآن الكريم بمدرسة فيض رحماني في راي فور ، ثم التحق بمدرسة عصرية حيث تعلم اللغة الانجليزية وبعض العلوم العصرية ، حتى تسلى له أن يتوظف في منصب التدريس ، وبعد ما تقاعد عن العمل الرسمي ، شغل منصب الأمين العام لمركز إحياء الفكر الإسلامي ، ومدير مجلة (نقوش إسلام) إلى مدة ، وقد صدر في إشرافه عدد لا يأس به من كتب إسلامية من مركز إحياء الفكر الإسلامي .

كانت له علاقة خاصة بعلماء عصره ، ومن بينهم العلامة الشيخ عبد القادر الرأي فوري (رحمة الله تعالى) ، والعلامة الشيخ محمد زكرياء (رحمة الله تعالى) شيخ الحديث بجامعة مظاهر علوم سهارنفور ، وكانت صلته قوية بفضيلة الشيخ السيد مكرم حسين سنسارفوري ، وهو الذي قام بالصلوة عليه ، وقد خلف وراءه أسرة حافلة بالأولاد والأحفاد .
رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وغفرله زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وأنجاله وذويه الصبر والسلوان .

٢ - الحاج محمد هاشم الأنباري إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الحاج محمد هاشم الأنباري في بلدة أيودهيا ، بمديرية فيض آباد بولاية أترابرديش (الهند) يوم الأربعاء / ٢٠ من شهر يونيو ٢٠١٦ م ، بعد ما رزقه الله تعالى عمراً طويلاً قضاه في الدفاع عن مسجد بابري الذي هدمته إجراءاً جماعياً من المتطرفين

المتعصبين ، زاعمين أنه بُني على أنقاض معبد هندي ، وقد وصلت قضيته إلى المحكمة الاستئنافية في مدينة لكونه وبالتالي المحكمة العليا بواسطة المسلمين الثائرين على هذه الجريمة ، وذلك طلباً للعدل في قضية هذا المسجد الذي اعتدت عليه فرقة متغصبة متطرفة من غير حق أو دليل .

كان الراحل الكريم في رأس قائمة المدعين في هذه القضية ، وقد تبناها إلى آخر لحظة من حياته ، فكانت جماعات النساء الهندوس وزعماء البلاد السياسيون والمتدينون منهم يعطفون عليه ويتعاونون معه ويكرمونه من خلال غيرته على الدين .
رحمه الله تعالى وأغدق عليه شأبيب رحمته ، وأسكنه فسيح جناته
وألهم الجميع وأهله الصبر والسلوان .

٤ - الدكتور عبد العليم البستوي في ذمة الله تعالى

الدكتور عبد العليم البستوي لبي نداء ربه في مكة المكرمة في ١٨ من شهر يونيو ٢٠١٦ م ، الموافق ١٣ رمضان ١٤٣٧ هـ ، عن عمر يناهز ٦٧ عاماً ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .

كان الدكتور عبد العليم البستوي من أهل مديرية بستي ، أكمل دراسته في الهند ، في جامعة ندوة العلماء بالذات ، ثم سافر إلى الدول العربية ، واستفاد في مجال الدراسة والتحقيق ، وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر ، في القاهرة ، وقام بأعمال جليلة في مجال العلم والدراسة والتأليف ، وخدمة العلم والدين إلى آخر حياته ، كان موظفاً في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

كان قد أكرمه الله تعالى بالتوفيق إلى الجمع بين خدمة العلم والدين بإخلاص ، وقد عرفه العالم الإسلامي بهذه المواصفات ، أصيب بمرض دام عليه إلى مدة ، حتى كان سبباً لوفاته .
تفمد الله تعالى بواسع رحمته وغفرله زلاته وعفا عن تقصيراته ،
وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر الجميل .

٤ - الدكتور صفيتة نسيم في ذمة الله تعالى

غادرت السيدة الدكتورة صفيتة نسيم إلى رحمة الله تعالى ، في ٢٢ من شهر يونيو ٢٠١٦ ، الموافق ١٦ / من شهر رمضان ١٤٣٧ ، يوم الأربعاء ، بعد معاناة من داء عضال ، بالغة من العمر ٧٥ / عاماً ، كانت من أهالي لكانو ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة العزيزة من السيدات ، الجامعات بين الثقافة الدينية والعلمية ، عرفت كعالمة كبيرة ممتازة ، قامت بخدمات جليلة في مجال العلم والثقافة ، كما كانت عضوة نشيطة ضمن أعضاء هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ، وكانت تشارك جلساتها باستمرارية مثالية ، وتبدي بأرائها عن القضايا والمشكلات ، التي كانت الهيئة تناقش فيها ، كانت وفاتها خسارة في صفوف السيدات المسلمات ، فقد كانت مثالاً للجمع المتنز بين الثقافتين الدينية والعصرية .
تغمدها الله بواسع رحمته وغفر لها زلاتها ، وأسكنها فسيح جناته ،
وألهم أهلها وذويها الصبر والسلوان .

٥ - فضيلة الشيخ المفتى عبد الرؤوف القاسمي في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء أخيراً بوفاة فضيلة الشيخ المفتى عبد الرؤوف القاسمي ، الذي كان من كبار العلماء العاملين في مجال التعليم والتربية ، في بلدة تمبور بمديرية سيتافور ، بولاية أترابراديش ، الهند .
توفاه الله تعالى في ٢٤ / يوليو عام ٢٠١٦ ، ١٨ / شوال ١٤٣٧ هـ .
يوم الأحد ، عن عمر يناهز ٦٣ / عاماً ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

الشيخ المفتى عبد الرؤوف كان عالماً كبيراً ، تخرج من الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديويند ، ثم اشتغل بالتعليم والتربية ، وقام بتدريس العلوم الإسلامية ، من الحديث والتفسير ، وغيره شيخ الحديث في مدرسة جامع الهدى بمدينة مرادآباد ، الهند ، وظل مشغولاً بهذا المنصب الجليل ، إلى آخر أيام وفاته ، وخلف وراءه جماعة من تلاميذه المعجبين به .
تغمده الله بواسع رحمته ، وغفر له زلاته ، وأدخله فسيح جناته ،
وألهم أهلها وذويها الصبر والسلوان .